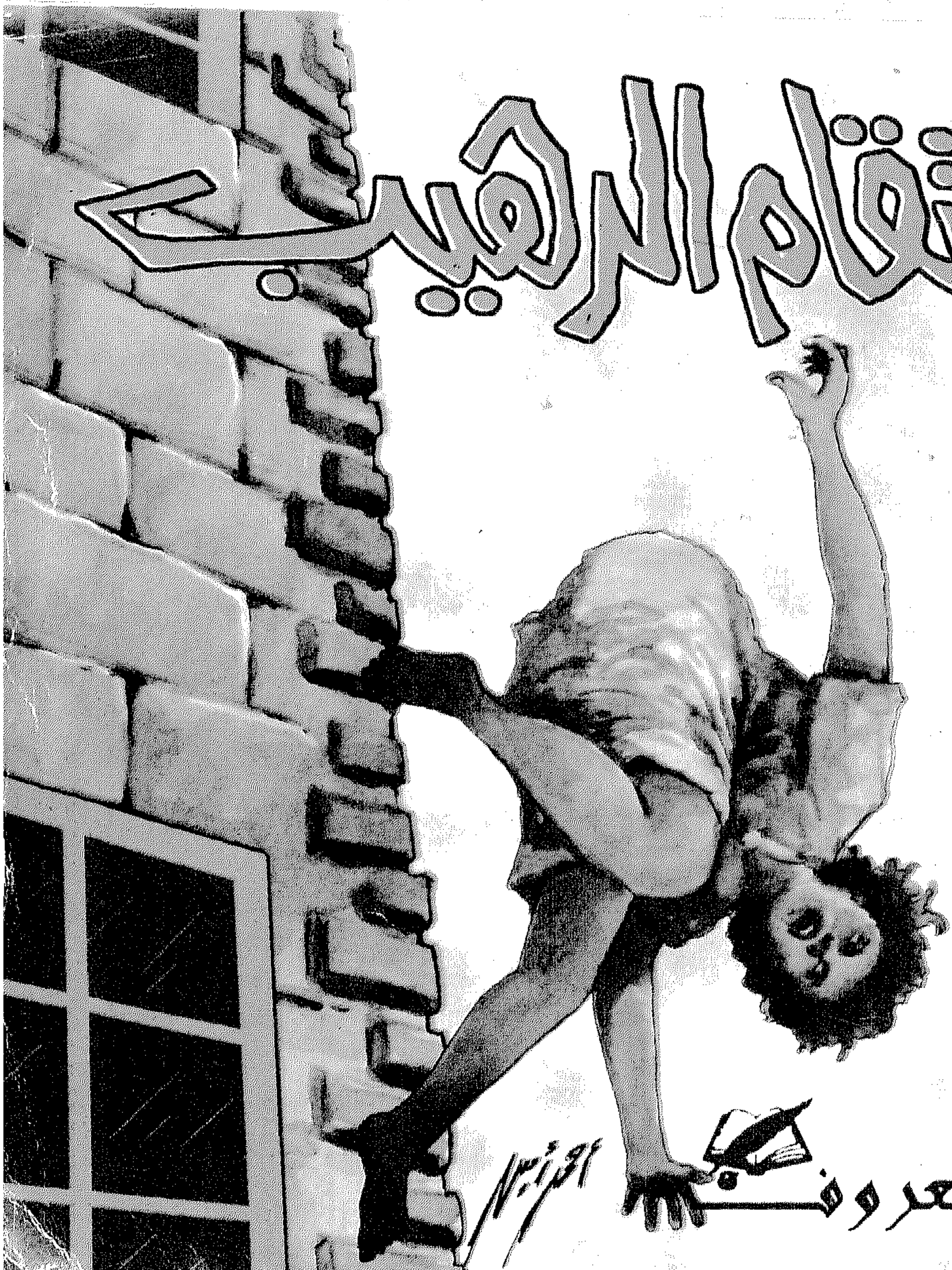




الانتقام الربيع



أحمد زكي



مكتبة معروف

82

C9

اچانا گریستن

الانتقام الرهيب

عمرو يوسف



مكتبة معروف

الاسكندرية، ٨٢٨٠٨١ ، ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة، ٧٦١١٢٢٩ ص.ب. ٢٧٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربي للنشر بالاسكندرية
محرورف أخوان

الفصل الأول

بدأت قصة هذه الجريمة فى قاعة المحاضرات ..

راح المحاضر يذكر تفاصيل الجريمة وملابساتها بكل دقة حتى يضع الطلبة فى الوضع المناسب لتفهم أركان الجريمة ثم ليصدروا أحكامهم بعد ذلك على أساس سليم ، ورغم أن المحاضرة استغرقت وقتاً طويلاً إلا أن الطلبة كانوا مستمتعين بها للغاية وبكلمات المحاضر الذى نجح فى الاستحواذ على عقولهم تماماً وجعلهم يعيشون جواً من الإثارة والترقب .

★ ★ ★

انتهت فترة الراحة وأخذ الطلبة يسرعون إلى قاعات المحاضرات المختلفة وبيتهم كانت فئتان تركضان بسرعة للحاق بالمحاضرة حتى لا تدخلان إلى القاعة بعد المحاضر الذى لا يسمح بذلك ..

وأخيراً وصلت الأولى إلى قاعة المحاضرات وهى مبهورة الأنفاس وقالت :

- أخيراً وصلنا .. من حسن حظنا أنه لم يدخل إلى القاعة .

ولكنها لم تجد زميلتها إلى جوارها كما كانت تتوقع .. استدارت

للخلف تبحث عنها فوجدتها تسير خلف جمع غفير من الطلبة
يدخلون إلى قاعة محاضرات أخرى ..

هرولت إليها بسرعة وهي تقول بغيظ :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟ هيا بنا لنلحق بالمحاضرة ..

فقالت الأخرى :

- أريد أن أعرف سر هذا الإقبال الشديد على سماع المحاضرة ..

سمعتها أحد الطلبة كان يقف بالقرب منها فقال :

- انها تدور حول التحليل الطبى لدوافع الجريمة ..

فقالت لزميلتها :

- يبدو أن الموضوع شيق للغاية .. هيا بنا ندخل لسماع هذه
المحاضرة ..

- ولكن من هو المحاضر ؟.

ذكر الطالب نفسه اسم المحاضر ولكن صوته ضاع وسط
الضوضاء والضجيج فجذبت الفتاة زميلتها إلى داخل القاعة حيث
كان المدرج مريحاً بعدد كبير من الطلبة وهم متأهبون لسماع
المحاضرة وبدوين ملاحظاتهم ..

دخل المحاضر إلى القاعة وبدأ السكون يخيم تدريجياً ..

تطلعت الفتاة بدهشة إليه .

كان يختلف تماماً عن الصورة التقليدية للمحاضر المعروف لديها ..
فقد كان شاباً في مقتبل العمر .. أنيق الھندام يرتدى رباط عنق زاهى
الألوان بعكس باقى الأساتذة الذين يرتدون الملابس القاتمة ويضعون
النظارات السميكة ويتركون لحاهم مسترسلة ..

غمغمت قائلة :

- من هو المحاضر ؟.

فقال نفس الفتى الذى يبدو أنه يدرس الطب :

- انه استاذ فى جراحة المخ ولكنه سيلقى الآن محاضرة فى علم
النفس الجنائى .. إنه نابغة فى هذا العلم .. إن محاضراته ممتعة
للغاية فلا تدعها تفوتك ..

فقررت أن تستمع إلى هذا المحاضر الذى اجتذب إليه أعداداً
غفيرة من الطلبة لم تشهدها القاعات من قبل ، وأخذت تبحث عن
مكان لتجلس فيه هى وزميلتها حتى عثرت على مكان صغير يكفيهما
بالكاد ..

وقد أحسنت الفتاتان الاختيار حيث كانت القاعة تغص بأعداد
كبيرة من الطلبة من كافة الكليات ..

كما كان هناك عدد كبير من الرجال والنساء الذين لا يدرسون فى
الجامعة ولكنهم حضروا من أجل سماع محاضرات هذا الجراح
الشهير .

تطلع الجميع إلى المحاضر وهو يتجه نحو المنصة فى خطوات متأنية ويتفرس فى الحضور بعينه السوداوين .. ثم بدأ المحاضرة قائلاً :

– ان معظم الجرائم التى يتم ارتكابها فى المجتمعات البشرية المتحضرة تكون بواسطة أشخاص شوان العقل لا يفكرون بالطريقة الطبيعية المألوفة ، وربما يكون السبب فى ذلك نشأتهم وسط بيئة غير طبيعية أصابتهم باختلال عصبى ..

إن الجرائم التى ارتكبها أشخاص شوان بطبيعتهم هى قليلة للغاية ، كما أنه من النادر أن تظل عقول المجرمين سليمة بعد ارتكاب الجرائم ..

شعرت الفتاة أن المحاضرة سوف تكون شيقة للغاية فانتبهت كل حواسها رغم عدم فهمها للكثير من المصطلحات الفنية التى كان يستخدمها المحاضر بين وقت وآخر ..

كما كان صوت الرجل العميق القوى يصل إلى القلوب مباشرة مما يجعل كلماته تحدث الأثر المطلوب بسهولة ..

قال المحاضر :

– واليوم سوف نتناول أحد الموضوعات الهامة بخصوص دوافع الجريمة وهو دافع الانتقام ..

وغالباً ما يكون دافع الانتقام هو السبب فى ارتكاب معظم

المجرمين العاديين - غير الشواذ - لجرائمهم .. وهو دافع قوى
للغاية ..

إن الانتقام يهيج العواطف ويثير النفوس إلى درجة شديدة
تتضاءل أمامها نوازع الخير لدى الإنسان ، ولذلك فإن العديد من
الدول تصدر أحكاماً مخففة على المجرمين الذين يرتكبون جرائمهم
بدافع الثأر أو الانتقام ..

نعم .. إن هذا يحدث بالفعل فى بعض الدول حتى ولو ارتكبت هذه
الجرائم مع سبق الإصرار والترصد ، ويتم معاملة مرتكب الجريمة
برفق .

إننا ننظر إلى الموت والحياة نظرة مرتبطة بما اصطلح عليه العرف
واتفق عليه الناس فى كثير من الأحيان ، وهذه النظرة لا تختلف عن
نظرتنا إلى العادات والتقاليد ..

ولذلك فإن الشخص الذى يندفع وراء عواطفه ودوافعه لارتكاب
الجريمة لا يعتبر مذنباً إلا لأنه خالف هذه الأعراف فقط ..

والآن سوف أتحدث معكم بالتفصيل عن رجل من هذا النوع يعد
مثالاً حياً لما قلت .. فهو رجل يتمتع بالاتزان فى التفكير وسلامة
الإدراك ويحظى بالتقدير والاحترام من قبل المجتمع ..

وكان موقعى القريب من هذا الرجل كفيلاً بأن أدرسه دراسة
متعمقة وأتابع كل تحركاته وخلجات نفسه ، وقد عشت تجربته

بنفسي وقررت أن يستفيد منها الجميع .. أما هذا الشخص فسوف
نطلق عليه اسماً مستعاراً..

بل إنني سوف استخدم أسماء مستعارة لجميع أبطال هذه القصة
التي سوف تستمعون إليها ..

سوف أطلق عليه اسم مايكل جويس ..

★ ★ ★

الفصل الثانى

بدأ المحاضر الشاب فى سرد قصة بأدق تفاصيلها ..

قال :

– كان بطل القصة الذى أطلقت عليه اسم مايكل جويس متزوجاً ولكنه زواج فاشل ولذا فقد عاش منفصلاً عن زوجته تماماً ..

كان يعمل طبيباً ويمتلك مستشفى خاصاً فى هارلى ستريت وقد حقق شهرة واسعة ونجاحاً مهنيًا ساحقاً وازدهمت عيادته دائماً بعشرات المرضى ، ولذلك فقد كان سعيداً غاية السعادة ..

فبرغم فشل حياته الزوجية إلا أن نجاحه العملى والشهرة التى حققها وتهافت المرضى عليه كل هذه العوامل جعلته يشعر بالسعادة والرضا .

أما علاقته بزوجته فكانت أشبه بعلاقة صديقين لا تربطهما صداقة قوية ولا يحاول أحدهما أن يتدخل فى شئون الآخر ..

ولم يهمل الدكتور مايكل جويس واجبه نحو زوجته فكان ينفق عليها بسخاء ..

أقام الدكتور مايكل بمفرده فى منزله الفخم ولم يكن معه سوى عدد قليل من الخدم الذين أحبوه حباً خالصاً ، فهو طيب القلب دمث الأخلاق ..

ولم يبتعد عن الحياة الاجتماعية بل كانت له علاقات بالعديد من الأصدقاء ، وكان يشارك فى العديد من المآدب والحفلات ويلتقى فى النادي بأصدقائه...

وفى أوقات فراغه القليلة كان يمارس هواية القراءة الأدبية كما كان يهوى العزف على البيانو ، بل إنه كان عازفاً بارعاً للغاية على هذه الآلة التى عشقها ووجد فيها خير دواء لعلاج أعصابه المرهقة ..

أما أحب الأشياء إلى نفسه فكانت هى العمل .. كان يحب عمله إلى درجة لا يتصورها أحد .. أنه يقدس العمل ولذلك حقق فيه هذا النجاح الساحق ..

ولم يخطر بباله أبداً أن هناك أى شىء فى العالم يمكن أن يؤثر فى حياته المنتظمة الدقيقة كعقارب الساعة ..

★ ★ ★

فى صباح أحد الأيام كان فى عيادته وأخذ يطالع التقرير الطبى الخاص بأحد مرضاه ومعه الخطاب الذى تلقاه بشأنه ..

وبعد قليل دخلت سكرتيرته مس مارش إلى حجراته ومعها سيدة صغيرة وابنتها الطفلة ..

تطلع الدكتور مايكل إلى الطفلة وقدّر أن عمرها لا يزيد على اثني عشر عاماً قدمت إليه السكرتيرة السيدة قائلة :

- مسز رايت ..

صافحها الطبيب بحرارة كما هي عادته دائماً مع زائريه وقال لها :

- مرحباً بك يا مسز رايت .. كيف حالك ؟ ..

ثم ركز نظراته على الفتاة الصغيرة النحيلة الساقين والتي أخذت تنظر إليه نظرات جامدة بعينيها الزرقاوين الجميلتين .. ثم قال للسيدة ..

- أعتقد أن هذه هي ابنتك ؟ ..

قالت بلهجة تنم عن القلق :

- نعم .. إنها ابنتي أن التي كتبت لك عنها ..

ربت الطبيب على كتف الفتاة وطلب منها الجلوس ثم قال للأم :

- نعم .. لقد وصلتنى رسالتك والتقارير المرفقة بها ..

ثم اقترب من الفتاة وراح يمسح شعرها الكستنائى الجميل ويفحص أثار جرح قديم بأعلى جبهتها ثم سأل الطفلة ..

- أعتقد ان هذه أثار جراحة عاجلة لعلاج إصابة ناتجة عن غارة

جوية ..

قالت أن بصوت طفولى خافت :

- نعم ..

- وأنت الآن تشعرين بضعف شديد فى الإبصار ..

قالت الأم :

- قال أخصائى العيون إن هذه الحالة لا تخصه وان علاجها ليس له فيه ..

سأل الطفلة قائلاً :

- هل يمكنك القراءة يا طفلى العزیزة ؟.

.. - كلا .. انتى لا أستطيع رؤية الكتابة بوضوح .

أخذ ينظر إليها قليلاً قبل أن يقول بصوت خافت

- معى الآن تقرير طبيب العيون ويقول ان حالتها هى (ضعف متواصل فى قدرات الابصار لديها دون سبب واضح) ..

مسز رايت .. إن حالة طفلك خطيرة ولا بد أن يتم إدخالها إلى المستشفى لإجراء العديد من الفحوصات الدقيقة عليها لمعرفة السبب الحقيقى لعلتها .. ما رأيك فى هذا يا أن ؟.

لاحظ الطبيب شحوب وجه الطفلة التى قالت :

- اننى أوافق ياسيدى ..

فقالت مسز رايت :

- ما رأيك ؟ هل يمكن أن نبدأ فى ذلك الآن ؟.

قال الدكتور جويس .

- ان هذا يكون أفضل حتى لا يتدهور الإبصار أكثر من ذلك
ويصبح علاجه متعذراً بعد ذلك ..

أخذ الطبيب يفحص عينيها بواسطة المجهر وهو يتحدث إليها
برفق ، وبعد أن انتهى من الفحص كان قد توصل إلى معرفة سبب ما
تعانيه الطفلة ، واتفق مع مسز رايت على أن يتم إدخال أن إلى
المستشفى على الفور ..

ابتسم في حنان للأم التي كانت تنظر إليه في خوف وضراعة
لأول مرة خلال هذه الزيارة ، ولكن ابتسامته جعلتها تشعر
بالاطمئنان ..

بعد قليل بدأ الطبيب في إجراء العديد من الفحوصات والاختبارات
الصعبة للطفلة أن التي تقبلت كل ذلك في صمت واستسلام مما يدل
على حسن تربيته وقوة تحملها مما أثار إعجاب مايكل جويس وقال
لنفسه :

- يالها من طفلة قوية الإرادة غير مدلة كغيرها ..

أما أمها فقد أبدت رباطة جأش وثباتاً طوال الأيام التالية ، وكانت
تنتظر نتائج الأبحاث والفحوصات بفارغ الصبر ولكن دون أن تظهر
عليها علامات القلق والأنفعال ..

خلال هذه الفترة كانت نظرة الدكتور مايكل جويس إلى مسز ايما

رايت تنحصر فى الاعجاب بصبرها وقوة تحملها كأم نموذجية
ولا شئ غير ذلك ..

وأخيراً تبين وجود جسم غريب دقيق للغاية فوق العصب
البصرى ، وقد وضح ذلك من خلال صورة الأشعة ..

صارح مايكل جويس ، مسز ايما رايت بذلك وأطلعها على صورة
الأشعة وأوضح لها ضرورة إجراء جراحة عاجلة لإزالة هذا الجسم
حتى تستعيد الطفلة قدرتها على الإبصار مرة ثانية ، وأنه من
الضرورى الإسراع بإجراء هذه الجراحة قبل أن تفقد البصر نهائياً ..
ارتعدت المرأة ثم قالت بصوت خافت :

- ولكن هل هى جراحة خطيرة ؟ أعتقد أنها شديدة الخطورة على
حياتها ..

- انها جراحة كبرى بالطبع وهناك نسبة خطورة فى مثل هذه
الجراحات ..

- يا إلهى .. ما مدى الخطورة هنا ؟.

ابتسم مايكل جويس وقال برفق :

- ربما تكون الجراحة خطيرة ولكن نسبة الوفاة هنا لا تزيد عن
واحد فى المائة .

فبدا القلق على وجه المرأة رغم ذلك وقالت بلهجة تفيض
بالأسى .

- وماذا يحدث إذا لم يتم إجراء الجراحة لها ؟..
- وقرر الطبيب أن يصارح ايما رايت بالحقيقة فلا داعى لإخفاء أى شىء عنها خاصة وأنها تتمتع بقوة الأعصاب
- أجابها قائلاً :
- فى هذه الحالة سوف تفقد القدرة على الإبصار نهائياً خلال فترة قصيرة ..
- بدا القلق والتوتر على وجه المرأة وراحت أصابعها تتقلص بانفعال .. ثم قالت :
- اننى لا أعرف ماذا أفعل ؟ وما هو القرار الذى ينبغى اتخاذه فى هذا الموقف الصعب .. ليت فيليب عاد من رحلته .. انه أكثر قدرة منى على مواجهة هذه المواقف ..
- عليك ان تتخذى قرارك بسرعة لأن كل يوم يمر يجعل حالتها تزداد سوءاً ..
- قالت ايما رايت بأسى :
- نعم .. اننى أعلم ذلك جيداً .. ولكن ..
- ثم توقفت الكلمات على شفيتها فنظر اليها الطبيب مشجعاً فقالت :
- ولكن هل أنت واثق انها لن تكون ضمن نسبة الواحد فى المائة !!

فقال لها بلهجة تفيض بالثقة

- لا داعى للتردد أبداً يا مسر رايت ، فسوف تنجح العملية
وتستعيد ابنتك القدرة على الإبصار ، فلا داعى للخوف أو التردد
وعليك أن تثقى بى ..

أخذت إيما تتطلع إلى مايكل جويس بعينيها الزرقاوين وكأنها
تستمد منه القوة والثقة ثم ابتسمت ابتسامة شاحبة وقالت أخيراً :

- حسناً يادكتور .. اننى أوافق على إجراء الجراحة ..

- سوف نتركها فى المستشفى الآن ثم نواصل إجراء التحاليل
والاختبارات خلال الأيام القادمة حتى تأتى اللحظة المناسبة لإجراء
الجراحة ..

وقبل أن تنصرف أمسك بيدها ثم غمغم قائلاً :

- أرجو أن تطمئنئى تماماً يا مسز رايت .. سأبذل قصارى
جهدى ..

قالت :

- اننى مطمئنة تماماً

★ ★ ★

خلال الأيام التالية كان مايكل جويس يرى أن كل يوم وبالطبع
كانت معها أمها ومن خلال تلك اللقاءات المستمرة علم أن الأب

جيولوجى من الذين يختصون. بدراسة طبقات الأرض وأنه مسافر دائماً ولذلك وضعت المرأة كل عواطفها واهتماماتها فى ابنتها الوحيدة وأحببتها لدرجة العبادة .. كان مايكل جويس يرى بوضوح علامات هذا الحب تطل من عينى مسز رايت كلما نظر إليهما ..

أخيراً رأى مايكل جويس ، أن الوقت أصبح مناسباً لإجراء العملية .

وفى اليوم المحدد لإجراء العملية وقف كل من مايكل وإيما .. ينظران إلى أن الراقدة فى الفراش وقد نحل جسدها حتى بدت كالشبح ..

قال مايكل للفتاة انه سيضطر لقص شعرها الجميل فجذبت المسكينة وقالت :

- أرجوك يا دكتور .. لا داعى لذلك حتى لا يكون منظرى بشعاً ..
ابتسمت لها إيما مشجعة وقالت :

- لا داعى للقلق يا عزيزتى .. سوف ينمو بأسرع مما تتصورين ويعود أجمل مما كان ..

حاولت الطفلة المسكينة أن تتظاهر بالشجاعة إلا أن وجهها ازداد شحوباً وعلته علامات الخوف والقلق ..

قال لها مايكل برقة :

- لا داعى للخوف يا عزيزتى .. فسوف نجعلك تنامين نوماً عميقاً

وعندما تستيقظين ستجدين كل شئ قد انتهى .. وسوف تستعيدين
بصرك مرة أخرى ..

انتهى مايكل من الحديث مع أن واتجه إلى الباب لمغادرة الغرفة
فتبعته ايما ولكن الطفلة تشبهت بها بقوة فقالت لها الأم :

– لا داعي للقلق يا حبيبتي .. سوف يبذل مستر جويس أقصى
جهده من أجلك ..

أخذت الفتاة تتوسل إليها وتطلب منها أن تظل بجوارها ولا تتركها
أبدأ فقال لها مايكل :

– سوف أترك معك والدتك حتى تستغرقين في النوم ..

قالت أن بجزع :

– أريدها أن تظل بجانبى حتى أفيق ..

– حسناً .. سوف تظل بجانبك دائماً ..

هتفت الفتاة بسعادة :

– هيا يا أماه .. تعالى إلى هنا بجواري ..

وعلى الفور شعرت ايما بالخوف من رؤية ابنتها أثناء إجراء
الجراحة فقالت :

– سوف أكون بالبهو أمام الغرفة يا عزيزتى ..

ولكن الفتاة ألحت عليها أن تظل بجوارها فقال لها مايكل جويس
ان ذلك باستطاعتها ..

قال جويس للفتاة :

- سوف أعود إليك بعد قليل ..

ثم غادر الغرفة ولحقت به ايما وسألتها عما إذا كان وجودها ضرورياً في غرفة العمليات فشعر بالشفقة نحوها ، فوجهها كان شديد الامتقاع تبدو عليه دلائل القلق الشديد فقال لها :

- لقد قلت ذلك لأطمئن أن فقط ولكنك ستبقين بالخارج ..

- ألا يمكنني الدخول إلى غرفة العمليات ؟ ..

- كلا بالطبع .. ان هذا مستحيل .. سوف تغيب عن الوعي ولن تشعر بشيء بعد ذلك ..

- ان هذا لا يهمنى .. لقد وعدتها أن أبقى بجانبها وصدقتنى ، فإذا ما تبينت بعد ذلك اننى كذبت عليها فلن تصدقنى بعد ذلك فى أى شىء .

- انها لن تعرف أبداً أنك لم تدخل إلى غرفة العمليات فلا داعى للقلق من هذه الناحية ..

★ ★ ★

بعد قليل كانت أن ترقد فوق منضدة العمليات وهى غائبة عن الوعي وحملها الدكتور جويس ومساعدوه وعدد من الممرضات .. الكل يرتدون الملابس المعقمة ولا يبدو من وجوههم سوى عيونهم فقط ..

وبدأت الجراحة الصعبة التى أجراها مايكل جويس بكل براعة
واقتردار وبذل فيها جهداً كبيراً .. حتى أنه فى النهاية شعر بآلام
شديدة فى كتفه .

ونجحت العملية ..

★ ★ ★

الفصل الثالث

غادر مايكل جويس غرفة العمليات فخلع الملابس المعقمة وارتدى ملابس العادية ثم ذهب إلى غرفة الانتظار حيث كانت ايما جالسة فى لهفة ، لم يلاحظ أن هناك سيدة أخرى تجلس معها وعلى الفور اتجه إلى ايما التى ما كادت تراه حتى هبت واقفه بعصبية شديدة وبدأ وجهها شديد الشحوب .. حاولت أن تنطق ولكنها فشلت فى التفوه بكلمة واحدة فقال مايكل جويس :

- حسناً يا مسز رايت .. لقد انتهى كل شيء ..

هتفت المرأة فى صوت حاد :

- ماذا تعنى ؟ هل انتهى كل شيء ؟ ..

- انتهى كل شيء على خير ونجحت العملية ..

راحت ايما تحقق فى وجهه وكأنها لم تستوعب ما قال ثم ارتعشت شفتاها وانهمرت دموعها بغزارة .. فراح مايكل يربت على كتفها ويهدئ روعها ثم قال لها برقة :

- انها الآن بخير ..

حاولت ايما أن تستعيد هدوءها ثم قالت أخيراً :
- لقد تحطمت أعصابى خلال فترة الانتظار الطويلة التى
قضيتها .. يا إلهى .. لقد خشيت أن تكون قد ..
ثم تهدج صوتها وتساقطت دموعها ..
ولكنها تمالكت نفسها ومسحت دموعها وقالت :
- إن الإنسان يتعذب إذا كان يحب شخصاً آخر كل هذا الحب ..
وهنا انطلق صوت المرأة الأخرى التى لم يتنبه إليها مايكل وقالت .
- لقد قال الدكتور إنها على مايرام فيجب أن تتماسكى ..
- نعم .. سأحاول .. ولكن هل يمكنى رؤيتها الآن يا دكتور ؟ ..
- بعد قليل سوف تفيق من أثر المخدر ولكننى أفضل أن تظل فى
راحة تامة ..

قالت ايما بضراعة :
- لن أزعجها أبداً يا دكتور .. أعدك بذلك .. اننى فقط أريد أن أراها
وأطمئن عليها .. إنك لا تعلم مدى القلق الذى يعصف بى ، وعندما
أراها سوف أكون أحسن حالاً ..
فقالت المرأة الأخرى وقد نفذ صبرها :
- لا داعى لهذه الحماقات يا ايما .. هيا بنا ننصرف ويكفى أننا
علمنا انها بخير وأن العملية نجحت ..

نظرت إليها ايما بدهشة ثم ابتسمت للدكتور مايكل جويس وقالت
معتذرة :

- اننى أسفة يا دكتور فلم أقدمك إلى مسز هوارد أخت زوجى ..
هذا الدكتور مايكل جويس .. فتبادلا التحية بطريقة فاترة وقد شعر
مايكل نحوها بالنفور ..

أما عن شعوره فى هذه اللحظة فكان هو الراحة التامة لأنه نجح
فى إدخال الطمأنينة على قلب ايما بما بذله من جهد كبير فى
الجراحة ..

وفى هذه اللحظة لم يحاول تحليل مشاعره تجاه ايما ..

★ ★ ★

أعقب ذلك انتظار قاتل خلال الأيام التالية .. كانت الطفلة راقدة فى
فراشها وهى محاطة الوجه والرأس بالضمادات ، بينما كانت إيما
تشعر بالقلق الشديد عليها ولا تكف عن التساؤل بينها وبين نفسها :
هل تستعيد أن القدرة على الإبصار ؟.

وكان مايكل يطمئنها باستمرار ويقول لها أن الفتاة تتقدم تقدماً
مضطرباً نحو الشفاء التام وان كل شئ سوف يصبح على مايرام ..

سارت الأمور فى مجراها الطبيعى وبدأ القلق على نجاح الجراحة
ينتقل إلى مايكل جويس نفسه .. لقد شعر بالخوف من فقدان الطفلة
لللبصر وكأنه يفكر بعقل الأم وقلبها ..إنها المرة الأولى التى يفكر فيها
مايكل جويس بهذه الطريقة ..

فهو الطبيب البارع المشهور فهل يشك فى قدراته الآن ؟. ولكن الأمور أخذت فى التحسن تدريجياً ، وبدأت أن تصرح بأنها ترى ما حولها ولكن بصورة غير واضحة ، ثم بدأت الصورة تتضح أكثر وأكثر مع الأيام وانطلقت ضحكتها المرحية مرة أخرى وبدأت تتحدث بطلاقة ..

وفى أحد الأيام كانت والدتها تجلس بجوارها وتطالع معها أحد الكتب المصورة فأعلنت الطفلة أنها ترى كل شئ بوضوح تام وراحت تقرأ بصوت عال ..

بل انها استطاعت ان تقرأ كل شئ بعد أن تم إبعاد الكتاب إلى نهاية فراشها وقالت ضاحكة :

— أرايت يا أماه .. بإمكانى رؤية كل شئ الآن ..

ودخل مايكل جويس ورأى ذلك ورقص قلبه طرباً كما لو كانت أول جراحة يجريها .. وخلال هذه الفترة كان مايكل يلتقى كل يوم بإيما ويقضيان معاً وقتاً طويلاً وهما رهينة القلق والخوف على مصير الطفلة .. لقد وجد بينهما هذا الشعور وخفق قلباهما بنبض الأمل معاً فامتزجت روحاهما بدون إرادتهما ..

وبعد النجاح التام للعملية كانا يتقاسمان الفرحة والسعادة سوياً ويشعران بالسرور والرضا .. ومن ناحيتها كانت إيما تشعر بالإمتنان الشديد للدكتور جويس الذى حقق المعجزة وأعاد إلى ابنتها

الحبيبة القدرة على الإبصار ، أما مايكل فقد بدأ اهتمامه بها يزداد يوماً بعد يوم خاصة بعد أن زال الخطر عن أن وبدأت تستعيد قدرتها على الإبصار تماماً وساعد ذلك ايما على أن تتخلى عن تحفظها وتعود إلى بشاشتها ومرحها .. وجدها مايكل شديدة الجاذبية .. بعيدة عن التكليف وشعر أنه لا يستطيع الابتعاد عنها ..

وأخيراً جاء اليوم الذى كان مايكل يخشاه .. كان هو موعد الزيارة الأخيرة له قبل أن تعود مع ابنتها إلى منزلها الريفى ..

قالت إيما :

– لقد ذهبنا أمس إلى السينما معاً .. انها المرة الأولى التى تذهب إلى السينما منذ عام ..

وقالت أن بسروره :

– كان عرضاً رائعاً ..

أعقب ذلك فترة من الصمت كان مايكل وإيما يتطلعان إلى بعضهما البعض وأخيراً قالت ايما وهى تحاول الابتسام :

– أعتقد أنها المرة الأخيرة التى نراك فيها يادكتور ..

فهتف مايكل من أعماق قلبه :

– كلا .. يجب أن أراك ..

فقالت ايما بصدق وحرارة مماثلة :

- نعم .. معك حق ..

وبعد أن خرجت هى وابنتها من الباب شعر بأنه يفقد شيئاً عزيزاً عليه شيئاً لا يمكن أن يفارقه ولكنه لا يعرفه تماماً ..

تطلعت الفتاة إلى الشارع وراقبتها أشعة الشمس المشرقة فقالت لأمها :

. - ها هى الشمس تشرق من جديد .. هذا اليوم مناسب للنزهة ..

- هل تحبين الذهاب إلى الحدائق اليوم ؟.

ولكن الفتاة كانت قد ابتعدت عنها فالتفتت إلى الدكتور مايكل جويس الذى وقف أمام الباب الخارجى .. شعرت بالحزن يعتصر قلبها وهى تفارق هذا الرجل الذى أعاد إليها السعادة وكان جزءاً أساسياً من حياتها طيلة الأشهر الماضية ..

قالت :

- وداعاً يا دكتور ..

تناول يدها وقبض عليها وهو يتأمل وجهها الرقيق ثم قال :

- هل ستذهبان إلى الحدائق ؟.

- .. نعم .. لماذا تسأل ؟..

- هل تسمحين لى بمرافقتكما ؟.

- بالتأكيد ..

استشعر السرور فى نبرات صوتها ، وعلى الفور تناول معطفه
وساعدته إيما فى ارتدائه وقالت :

– هل ستترك لهم رسالة ؟..

– لا داعى لذلك ..

كانت المرة الأولى التى يغادر فيها العمل بهذه الصورة وشعر أنه
كالتلميذ الذى يهرب من مدرسته .. إنه يترك العمل من أجل النزهة
مع طفلة صغيرة ..

★ ★ ★

كان يوماً رائعاً أشرقت شمسهِ وهلت فيه روائح الربيع بعد الشتاء
القارس البرودة ، وساعد ذلك فى تهيئة الجو الملائم لأن يدرك كل
منهما حقيقة مشاعره ..

أخذت أن تركض بمرح فوق الأعشاب وهى فى غاية السعادة
والمرح ، أما مايكل فكان يسير مع إيما وهما يضحكان ويتحدثان
ويشعران بأقصى درجات السعادة ..

تحدثت إيما عن كل شئ بمرح وبدون تكلف أو تحفظ ..

وراح مايكل يراقبها وهى تسير بخفة ونشاط بجسدها الرشيق
وثيابها البسيطة المتناسقة وشعرها الكستنائى الجميل وبشرتها
الرائعة ..

لقد شعر بأن فيها شيئاً ما سحره تماماً ..

انها المرة الأولى التى يشعر فيها بمثل ذلك ..
كانت إيما قد علمت أن زوجها سيعود إلى الوطن بعد رحلته
الطويلة إلى الخارج وسوف يستقر أخيراً ، كان لا يعود إلا لمدة
شهرين كل عام ، وظن مايكل انها سعيدة لذلك وقرر أن يودعها
الوداع الأخير فقد انتهت علاقتهما عند هذا الحد ..
ألم تكن علاقة بين طبيب ومريض ؟ لقد شفى المريض وغادر
المستشفى هو وأهله ..

★ ★ ★

ولكن هذا لم يكن اللقاء الأخير بينهما ، فقد عادت إيما إلى لندن
مرات ومرات وتعددت اللقاءات وكانت تستغرق كل مرة فترات أطول
، وبدأت تزور لندن كل بضعة أيام من أجله هو ..
اكتشف انها تعشق الموسيقى مثله فدعاها للذهاب معه إلى إحدى
الحفلات الموسيقية وهناك وجد انها تشعر بالنشوة البالغة خلال
العزف ..

راقته هذه الظاهرة وأخذ يراقبها وهى تشعر بالاثارة والجدل ..
تناولا العشاء سوياً واستمع إلى أرائها التى دلت على النضج
وعمق الثقافة وشعر بأنها بالغة الرقة والحساسية ..
وبدأ مايكل جويس يشعر بحاجته الشديدة إليها وتدم على كل ما
فاته من سنوات الشقاء والعذاب ..

بعد انتهاء الحفل صحبها فى سيارته إلى منزلها بالريف .. كانت المسافة طويلة تبلغ حوالى ثلاثين أو أربعين ميلاً ..

قالت له بلهجة اعتذار ..

- اننى أسفة .. لقد جعلتك تتحمل كل هذه المشقة من أجلى ، كان من الواجب أن أقضى ليلتى فى لندن ولكن لا يمكننى أن أترك أن بمفردها .

- انتى سعيد بذلك لأننى سأقضى معك وقتاً أطول .. أرجو أن نلتقى فى أمسيات أخرى ..

قال بإخلاص :

- إن هذا يسعدنى تماماً ..

أخذ مايكل يتطلع حوله ثم قال :

- أعتقد أننا الآن على مقربة من منزلك فأرجوا أن ترشدنى إلى الطريق .

نظرت إيما إلى الطريق وطلبت منه أن يبطئ قليلاً من سرعة السيارة ثم قالت :

- نعم .. لقد اقتربنا .. فهذا هو المعبد ..

- أى معبد ؟

- إنه معبد قريب أراه دائماً من غرفتى وقد سبب لنا الكثير من المشاكل العائلية .

- ولماذا ؟.

- هيا بنا إليه وسوف تعرف لماذا ..

توقف مايكل أمام المعبد ثم سار مع إيما قليلاً حتى بلغا معبداً صغيراً من الحجر شيد وسط الحقول .. يقف شامخاً تحت ضوء القمر ..

استندت إيما بظهرها إلى باب المعبد المصنوع من خشب البلوط وقالت :

- تخيل أننا نسمع صوتاً يشبه صوت الأرغن عندما تهب الريح من جهة المعبد .. فهي تدخل ثم تخرج من الناحية الأخرى محدثة هذا الصوت ..

ثم ارتعدت قليلاً وقالت :

- اننى لا أعرف حقيقة ما يحدث ولكننى أشعر بالراحة والسرور عند سماع هذه الأصوات رغم ان بعض الناس لا يحبونها ، وقبل أن أتزوج فيليب كانت كات تطلب منه بيع المنزل وعندما قتل زوجها وجاءت لتقيم معنا كررت هذا الطلب مراراً وأثارت المشاكل وادعت ان كلاى يعزف على الأرغن فيما يشبه صراخ الشياطين !

كان يراقبها وهو يشعر بالسعادة البالغة وقال :

- من هو كلاى ؟..

- انه البستانى وهو يحب العزف على الأرغن ولذلك تريد كات أن
نطرده ..

فسألها مايكل :

- ولماذا ؟ هل يترك عمله بالحديقة من أجل العزف ؟..

قالت ضاحكة :

- كلا .. ولكن كات تقول انه إذا ترك العمل فلن يعزف أحد على
الأرغن ولن تسمع هذه الأصوات الرهيبة التى تأتى من ناحية
المعبد ..

- ومن هى كات ؟..

- انها شقيقة زوجى التى رأيتها يوماً معى فى المستشفى .

- نعم ..

تذكر تلك المرأة التى رآها مع إيما عندما ذهب إليها ليبشرها بنجاح
العملية أخذت إيما تتطلع إليه ثم قالت :

- يبدو أنك تنسى الناس الذين تقابلهم بسرعة .. ان هذا شىء
يدعو للقلق ..

قال بهدوء :

- كلا . إننى أذكر فقط من أحب أن أذكرهم ..

هبطت إيما درج المعبد ومن خلفها مايكل حتى وصلا إلى السيارة ،

وعندما وقفا بجوارها أشارت إيما إلى بقعة قريبة وقالت بلهجة فاترة :

- هذا هو منزلنا يادكتور ..

- أحقاً !!

وظلا واقفين بجوار السيارة ولا يريد أحد منهما أن يدخل إليها ..

وأخيراً تنهدت إيما وقالت بنبرات مرتعشة :

- أريد أن أسألك عن شيء ما ..

- وما هو ؟ ..

- هل أنت مطلق ؟ ..

فقال على الفور :

- كلا .. ان ديانا ترفض الطلاق .. ولكن لماذا تسألين ؟ ..

- قالت إيما :

- لا شيء .. كنت فقط أريد أن أعرف الحقيقة ..

- ثم توقفت عن الحديث .. وبعد لحظات قالت :

- لقد تأخرنا كثيراً ويجب أن نعود حالاً .. هيا بنا ..

- توقف مايكل بالقرب من المر المؤدى إلى الباب ليودعها ولم

يحاول أن يصحبها حتى الباب .. كان فراقهما جامداً ..

★ ★ ★

اتصل بها فى صباح اليوم التالى حتى يعرف منها الموعد التالى لحضورها ، وقال إنه سيقوم بتنظيم وقته وعمله بطريقة تمكنه من لقائها دائماً بحيث لا تتعطل أعماله .. قالت له إنها تخشى أن يتأثر عمله وتتعارض مقابلاتها له مع مصالحه ، ولكنه نفى ذلك وكان يشعر فى قرارة نفسه بأن علاقته بها أهم كثيراً من العمل ، وأنه لايهتم بالعمل الآن كما كان يفعل سابقاً وأصبح اهتمامه الأساسى هو لقاء إيما ..

أصبحت إيما هى شغله الشاغل ليل نهار .. يفكر فيها فى كل لحظة ويتخيلها وهى تطلق ضحكاتها المرحية الرائعة بعد أن يذكر لها إحدى الطرائف المتعلقة بعمله ، كما كان يذكرها وهى شديدة القلق عليه بعد أن يحدثها ببعض متاعبه وهمومه ..

لقد غيرت إيما كثيراً من طباعه وعاداته .. كان دائماً حزيناً مهموماً منطوياً أما الآن فقد أصبح ثرثاراً يكثر الضحك ولا يحتفظ بأى سر لقد نجحت إيما فى تغييره تماماً ..

كان يجد فى صحبتها السلوى والعزاء والراحة والسعادة .. وهكذا كانت العلاقة بينهما تزداد قوة كل يوم ..

أما هى فكانت سعيدة لصداقتها بهذا الإنسان المثقف المهذب الرقيق الذى يشاركها الميول والاهتمامات .. كانت سعيدة بذهابها معه إلى المسارح والحفلات الموسيقية وبالاستماع إلى أحاديثه الرائعة التى تدل على الثقافة العالية ..

ولكن ..

ان قلبها يميل إليه هو وليس لميوله أو ثقافته فقط .. انها تنجذب إلى شخصيته .. انها تحبه وهو أيضاً .. كان يدرك أنه أصبح يحبها بكل كيانه ..

كانا يهربان من هذه الحقيقة ولا يحاولان مواجهتها .. فكلاهما متزوج .. وقررا أن يتركا الأمور تسير بدون محاولة منهما للتدخل فى سيرها ..

كانا يقنعان انفسهما بأن صداقتهما عادية وان لقاءاتهما لاغبار عليها ويشعران بالسعادة البالغة فى هذه اللقاءات ..

★ ★ ★

وأخيراً جاء اليوم الذى فاض فيه الكيل بكل منهما ، ولم تعد لهما طاقة على الصبر والكتمان .. غادر مايكل غرفة الاستشارة متجها صوب قاعة الاستقبال وهناك وجدها جالسة فى انتظاره .. كانت ترتدى ثوباً رائعاً أزرق اللون وتصغى بكل جوارحها إلى موسيقى باخ ..

وقف برهة يتأملها وينصت إلى هذه الموسيقى الرائعة . إنها تفسر الاسطوانة التى كانت تستمع إليها أن يوماً ثم أوقفها وقالت (يا إلهى .. سوف أبدأ كل شئ من جديد

دخل إلى الحجرة وقال لها

- إننى أَسف .. لقد كان لدى عمل كثير .
أوقفت إيما الاسطوانة ونظرت إليه بغرَح وقالت :
- لا عليك .. لقد أعددت لك مفاجأة ..
- وما هى ؟..
وضعت اسطوانة أخرى فى الجهاز وقالت :
- انها اسطوانة بصوت أن . لن تصدق انها هى .. انها تغنى أغنية
: سيدتى .. هيا إنهضى لكى تسيرى ..
أصغى مايكل إلى المقدمة الموسيقية ثم قال :
- ان المقدمة رائعة .. ترى هل هى أن التى ستغنى حقاً ؟ ان الامر
يبدو كما لو كان من عمل مغن محترف ..
- كلا ... انها هى أن .. عليك أن تنصت إليها .
سمع صوت أن خافتاً وهى تقول (سوف أبداً كل شئ من جديد)
ثم سمع صوت الموسيقى وصوت ضحكاته العاليه .. قالت إيما :
- كان لابد من حذف هذه الأجزاء .
ثم راحت تعزف على البيانو بمهارة بينما تذكر هوكلمات الاغنية ..
(سيدتى . هيا انهضى لكى تسيرى .
سيدتى .. هيا لكى تتحدثى .

سيدتى .. هيا لكى تسيرى وتتحدثى معى .
سوف أمنحك مفاتيح قلبى ولن نفترق أبداً ..
أخذت إيما تعزف وهى تتحدث عن طفلتها المحبوبة ..
- لقد تعلمت أن تحفظ جيداً خلال محنتها وأصبحت موهوبة فى
التعلم بالسمع ولكنها توقفت عن العزف فجأة عندما سمعت سؤال
مايكل :

- إيما .. هل تحبين زوجك ؟..
امتقع وجهها وراحت تتطلع إليه فأعاد السؤال مرة أخرى ..
- هل تحبين زوجك ياإيما ؟..
قالت بلهجة جافة :

- اننى لا أعرف كيف أجيب على هذا السؤال ..
- ولكنك تعلمين لماذا أسألك ..
هزت رأسها وقالت بهدوء :
- نعم ..

- نهضت من مقعدها وسارت حتى وقفت أمام النافذة وراحت
تحقق فى الفضاء ثم استدارت إليه وعلى وجهها دلائل الألم وقالت
- مايكل .. ان الأمر صعب للغاية ولا أعرف ماذا أفعل...

شعر مايكل بأنها تعاني الكثير كما يعاني هو تماماً .

استطردت قائلة :

- فى الحقيقة .. لقد قضينا فترة طويلة أنا وفيليب فى هدوء واستقرار وكان يعاملنى بغاية الرقة .. ولم أتخيل أننى سأعرض لهذا الموقف .

شعر بأنها تقر بالأمر الواقع فهتف من أعماقه ..

- إيما .. اننى أحبك ..

اضطربت ملامحها وتقلصت شفتاها وهى تقول له :

- مايكل .. كان يجب أن تخفى مشاعرك حتى نتمكن من مواصلة اللقاءات ..

- لم يعد باستطاعتي أن أبقي الأمر فى طى الكتمان أكثر من ذلك

ورغم أنها كانت تعلم ذلك وتشعر به فى أعماقها إلا أنها قالت .

- كلا يا مايكل .. كان يجب أن نكتم مشاعرنا ..

- كنت أريدك أن تعرفى ..

ابتسمت بخجل وقالت .

- لقد كنت أعرف كل شئ يا مايكل ..

انفجرت ثورة حبه قوية جامحة فقال :

- إيما .. لقد كابدت عناء لا قبل لى به وحاولت أن أكتم الأمر طويلاً وأقنع نفسي بأن الطريق مسدود أمامنا .. ولكن كل ذلك لم يزدنى إلا حباً لك .. كنت أتمنى أن يقع أى شئ ليس فى الحسبان ..

توقف قليلاً ثم قال هامساً :

- ورغم ذلك كنت أشعر أن هذا الشئ لن يحدث أبداً ..

فقالت بأسى :

- من الواضح أن الأمور ستظل هكذا ولن يحدث شئ غير متوقع كما قلت .. ان علينا لا يملك حريته ولن يملكها فماذا يمكننا أن نفعل ؟ لا شئ ..

كان هذا الكلام شديد القسوة فقال مايكل بأسى

- هل تعنين أننا لن نلتقى بعد اليوم يا إيما ؟ لا تقولى ذلك ..

قالت بحزم :

- نعم ..

ثم اتجهت نحو الباب فى خطوات متثاقلة فقال بيأس :

- سوف يكون فراقك مؤلماً يا إيما ولن أستطيع تحمله

نظرت إليه بحزن وقالت .

- وأنا أيضاً يا مايكل ..

وتساقطت دموعها ثم قالت .

- سوف يكون فراقاً أليماً ..لم يشعر مايكل بنفسه وهو يحيط
خصرها بذراعه ويقبلها للمرة الأولى ..
وما هي إلا لحظات حتى أحاطته إيماء بذراعيها بشوق ..

الفصل الرابع

وهكذا كان هذا اللقاء بداية لعلاقة حميمة لا يمكن أن تنتهى لأى سبب من الأسباب رغم أن إيما قررت أن تنهى الأمر تماماً ..
استمرت العلاقة بينها وكثرت اللقاءات ..
كان كلاهما حريصاً على ألا تتطور العلاقة بينهما إلى ارتكاب الإثم .

فإيما طاهرة النفس تمقت الإثم والخيانة ولا تتخيل نفسها تفعل ماتفعله الخاطئات من النساء ولا ترضى أن تنحدر إلى هذه الهاوية ..
كانت يقظة الضمير تحاسب نفسها دائماً ..

عندما فكرت فى زوجها وجدت أنها غير ناقمة عليه ، بل شعرت بالتعاطف معه .. فقد أخبرها بأنه سوف يصفى أعماله بالخارج ليعود إلى انجلترا ويستقر بها ليرعى طفليهما ، وشعرت بأنها ممزقة بين عاطفتين .. عاطفة الأمومة والاستقرار مع زوجها وعاطفة الحب المدمر نحو حبيبها مايكل .

أما مايكل فقد كان يريد لها معه فى كل وقت ولا يطيق الابتعاد عنها

أبداً .. كان يحبها لدرجة لا يستطيع معها أن يعيش بدونها مهما حدث ومهما بذل من تضحيات ..

ولكن ماذا يفعل أمام صفاتها المثالية وأخلاقها السامية ؟ إن أخلاقها تمنعها من التفكير فى إيذاء أى إنسان وخاصة زوجها الذى وصفته بالرقّة والتسامح ، فلا يمكن أن يناقشها فيليب فى ذلك ..

انه يحبها كما هى بمثلها .. بأخلاقها بكل ما فيها يحبها ..

ان كل مافيهها واضح نقى .. بريئ .. وجهها .. عينيها .. أخلاقها .

وكل ما فيها شفاف .. رقيق .. ووجهها .. أناملها .. عيناها ..

بدا الأمر شديد التعقيد فلم يحاول مناقشته بعد ذلك وترك الأمور تسير بدون أى محاولة للتدخل فى سيرها رغم أن الأمور كانت تزداد حرجاً وتأزماً يوماً بعد يوم ..

كانت علامات الحزن والأسى تبدو واضحة على وجه إيما ، وظهرت الخطوط الزرقاء أسفل عينيها مما يدل على الأرق الذى كانت تكابده فى لياليها والصراع الذى يدور بنفسها ..

شعر مايكل بالحزن والأسى تجاه حبيبته والضيق والحنق على نفسه لفشله فى مد يد المساعدة إليها .. كيف يتركها هكذا تتعذب بسببه ؟!

وأخيراً قررت إيما أن تنهى عذابها وأن تكتب إلى زوجها بكل شئ

وتطلب منه أن يمنحها حريتها..لم تجد سبيلاً للخلاص من عذابها
إلا ذلك ..

قضت ساعات طوالا وهى تحاول الكتابة إلى زوجها بالحقيقة
الأليمة وتخشى أن تصدمه صدمة تقضى عليه ، وبعد أن انتهت
جاءت إلى مايكل ومعها الخطاب ..

قدمته إليه وراحت تراقبه وهو يقرأ ..

وبعد أن انتهى أعاده بدون أن يعلق بكلمة واحدة ، فأدركت أنه
يشعر بما تشعر به إنها نذالة منها وقسوة تجاه هذا الزوج الذى
يحبها ولا يثق فى أحد سواها .

قالت :

– لا يمكننى أن أرسل إليه بهذا الخطاب ..

أخذ يتفحصها بعينيه السوداوين وكأنه يحاول النفاذ إلى قلبه
بنظراته العميقة ، وشعر فى هذه اللحظة بأن حبه لها قد تضاعف
أضعافاً ..

قال بهدوء :

– اننى أقدر ذلك ..

فقالت بصوت متهدج :

-- ان هذا الخطاب سوف يحل لنا مشاكل كثيرة ولكننى للأسف لا

أستطيع إرساله ولا أتخيل تلك الصدمة المروعة التى سيشعر بها
دون شك كما أنتى بذلك سوف أضر بابنتى الحبيبة أن ..
- نعم ..

كان مايكل يعلم أن إيما لا تعرف معنى الخيانة ولا يمكن أن تنزلق
إليها سواء معه أو مع زوجها فماذا يفعل ؟
لا بد أن هناك حلا لهذه المعضلة ..

قالت إيما

- وأنت أيضاً يجب ألا تفكر فى رفع دعوى طلاق وتلوث اسمك
الناصح وتجلب الكثير من الضرر على نفسك ..
كانت تقول ذلك وهى تعلم جيداً أنها مجرد كلمات فى الهواء لن
تلقى أى رد فعل من مايكل الذى لا يرى سواها فى الدنيا كلها ..
قال لها مايكل :

- هل تتخيلين أنتى أهتم بأى شئ من ذلك ؟ ..

قالت على الفور وكأنها تؤجل سماع رأيه النهائى :

- ولكننى أهتم به أيها الحبيب .. أنا التى دفعت بك إلى هذه
الهاوية ..

- كلا يا إيما .. اننى لا أهتم بكل ذلك .. لا شئ يهمنى فى الدنيا
سواك ، فأرجو ألا تضعى هذه الأمور فى حسابك وأن تتخذى

قرارك بلا أى مؤثرات من جانبى ..
وبدأت إيما مواجهة المشكلة .. قالت :
- وهناك أيضاً أن .. اننى لا أستطيع التخلّى عنها .. لا يمكننى ذلك
أبداً ..

هز رأسه موافقاً ..

مزقت الخطاب بينما كان مايكل يراقبها وهو يعلم أنها لن تستطيع
أن تزج بآن أو به فى هذه المشاكل وتثير حولهما الفضائح فى
المحكمة .. أنها لا يمكن أن تعرض من تحبهم لهذه الفضائح التى
سيعلم بها الجميع على الملأ وسوف تظل مخلصه لزوجها فهى لا
تعرف إلا لغة الإخلاص والوفاء ..

قالت بصوت حزين :

- لا حيلة لنا فى إنهاء علاقتنا فلا داعى لأن نواصل خداع
أنفسنا ..

وأخذت تتطلع إلى الفضاء بحزن شديد ..

قالت :

- نعم يا مايكل .. لم يعد هناك خيار فى إنهاء هذه العلاقة .. لا بد
أن ينتهى كل شىء الآن ..

هم بأن يقترب منها ولكنها أوقفتها بحركة من يدها وهتفت

بضراعة :

– أرجوك .. لا تحاول الاقتراب منى .. يجب أن ينتهى كل شىء
تماماً ولا يرى أحدنا الآخر بعد ذلك أبداً ..

ثم غادرت الحجرة بسرعة دون أن تلتفت إليه ..
سمع خطواتها وهى تسرع إلى الباب الخارجى ..
ولم يرها بعد ذلك ..

★ ★ ★

الفصل الخامس

غرق مايكل جويس بعد ذلك فى عمله تماماً حتى ينسى غرامه
الضائع وقرر أن يغلق أبواب قلبه تماماً ويفعل كل ما توسعه حتى
ينسى ..

واصل العمل ليلاً ونهاراً كى لا يدع فرصة للذكريات التى تنهش
قلبه .

أصبح يتعامل مع هذا الأمر كما لو كان مرضاً أصابه ولا بد من
العلاج حتى يبرأ منه ..

ولكن هيهات .. لقد أصبحت حياته خاوية تماماً لا قيمة لها ولا
معنى .. غابت عنها البهجة والسعادة إلى الأبد فلماذا يعيش ؟ ..

وعلى العكس فقد ازدادت صورتها وضوحاً فى ذهنه وكأنه يراها
مائلة أمامه فى كل لحظة وفى كل مكان ..

فى الطرقات .. فى المطاعم والفنادق .. فى المحطات .. فى كل مكان
يراهها .

فى صباح أحد الأيام وجد عدداً من الخطابات التى وصلت توأ

وكان يهم بفتحها ولكن جرس الباب الخارجى رن فأدرك أن أول
العملاء قد وصل ..

هم بالنزول لفتح الباب ولكنه وجد سكرتيرته مس مارش قد
سبقته وقبل أن تصل إلى الباب لمحتة فتبادلت معه تحية الصباح
بوجهها البشوش وقالت :

- ان ما حدث لمسر رايت كان شيئاً مؤلماً ..

شعر كأن لساناً من اللهب أحرقه فجمد فى مكانه وقال :

- مسر رايت ؟ ..

كان يتمنى أن تكون السكرتيرة قد أخطأت أو يكون هو الذى أخطأ
فى سماع الاسم ولكن مسر مارش قالت :

- نعم .. هل نسيته ؟ إنها والدة الطفلة أن التى أجريت لها جراحة
وأعدت إليها الإبصار .. ظل مايكل جويس جامداً فى مكانه حتى
فتحت السكرتيرة الباب ودخلت عميلة بدينة إلى حجرة الانتظار ..

مرت به هذه اللحظات المروعة كأنها أعوام عانى فيها مرارة
الانتظار ، وعندما تطلعت إليه مس مارش دهشت لأنه لم يزل واقفاً
عند رأس السلم وشعرت بالانزعاج وهى تسمع نبرات صوته
المتحشرج

سألها

- ماذا حدث لمسر رايت ؟

- مسر رايت .. نعم .. لقد سقطت من إحدى النوافذ فماتت على القور !!..

شعر كأن ضربة هائلة أصابت كيانه فغمغم قائلاً :

- أه ..

مضت مس مارش في طريقها إلى مكتبها بينما شعر مايكل أن الأشياء تتراقص أمام ناظريه وبأنه يسقط من ارتفاع شاهق ثم تتلقفه دوامة عاتية .

قبض على سياج الدرج بقوة حتى لا يسقط ثم أغمض عينيه .. وبعد قليل راح ساقيه جراً حتى وصل إلى حجرته فدخلها وأغلق الباب خلفه ..

★ ★ ★

ذهب مايكل جويس إلى بلدة حبيبته الراحلة إيما رايت حتى يحضر جلسة التحقيق والتي ذكر فيها أن الحادث وقع في السادسة مساء ، وفي هذا الوقت لم يكن بالمنزل سوى ابنتها أن وخادمة تدعى دوريس بوند ..

شهدت الخادمة أن مسز هوارد زارت المنزل بعد ظهر يوم الحادث ..

راح مايكل جويس يتطلع إلى القاعة التي عقدت فيها جلسة

التحقيق .. كانت دوريس بوند تقف فى مكان الشهود بينما رأى سيدة أنيقة ترتدى الملابس السوداء تجلس فى الصف الأول وتساءل :

- هل هى كات هوارد ؟.

وكان هناك رجل بدا أنه طبيب الأسرة بالإضافة إلى سيدة ربما كانت هى الطاهية ، ثم عدد كبير من الجمهور ينصتون باهتمام إلى وقائع الجلسة ..

نظر المحقق إلى الأوراق الموضوعه أمامه ثم قال للوصيفة :

- هل رأيت مسز هوارد أثناء انصرافها من المنزل ..

- نعم .. رأيتها وهى تقود سيارتها مبتعدة عن المنزل..

- متى كان ذلك ؟.

- فى تمام ساعة السادسة ..

نظت دوريس بوند بهذه الكلمات بلهجة جدية ..

سألها المحقق قائلاً :

- ثم سمعت بعد نصف ساعة صوتاً ما كأنه صوت أحد الأشخاص ؟.

- نعم .

- شكراً لك يامس بوند ..

ثم اتجهت إلى مقعدها بجوار المرأة التي يظنها مايكل الطاهية ..
أشار أحد رجال الشرطة للسيدة الأنيقة التي ترتدى الملابس
السوداء بالنهوض فذهبت وتقدمت بثقة إلى منصة الشهود ..

كانت هي كات هوارد ..

وضعت يدها فوق الكتاب المقدس وأقسمت أن تقول الحق ..
وتذكرها مايكل .. فهي التي جاءت مع إيمان عقب إجراء الجراحة
لابنتها آن ..

سألها المحقق عن اسمها وعنوانها فقالت :

- أقيم الآن في فندق أركاديا ..

- ما هي صلة القرابة بينك وبين مسز رايت ..

- كانت زوجة أخى فيليب ..

سألها المحقق :

- متى رأيته على قيد الحياة لآخر مرة ؟ ..

- حوالى الساعة السادسة من مساء اليوم الذى توفيت فيه
ورقضيت معها ساعة تقريبا ..

- هل كنتما على موعد ؟ ..

قالت مسز هوارد :

– كانت تعلم اننى سامر بها خلال هذه الفترة ولكن لم يكن بيننا موعد محدد ..

– فى ذلك اليوم هل كانت تتوقع حضورك ؟.

– ليس بصورة قاطعة لأننى تعودت زيارتها كلما كنت قريبة من منزلها ، فبعد مقتل زوجى أصبحت أزورها بصفة دائمة »

– ما الذى حدث عند زيارتها ؟..

قالت بلا اكتراث :

– لا شئ . لا شئ على الاطلاق ..

– ألم تتحدثا سوياً ؟..

– بالطبع ..كانت أحاديث عامة .

– هل بدا عليها أنها تعاني من الضيق والاكتئاب ؟.

– على العكس ، فقد كانت تبدو سعيدة للغاية وهى تترقب عودة زوجها إلى أرض الوطن بعد غياب طويل ..

تململ مايكل جويس فى مقعده ونظر إلى كات .

كان واثقاً أنها تكذب ولكنها رغم ذلك واجهت المحقق بنظرات ثابتة وكانت متمالكة لأعصابها تماماً ..

سألها المحقق :

– هل كانت هناك أى دلائل للقلق أو التوتر على وجهها ؟..

– كلا .. كانت فى حالة طيبة للغاية ..

– ألم يكن فى سلوكها شئ غير عادى ؟ ..

قالت بثقة :

– كلا .. أنا واثقة أنها كانت فى هذا اليوم بخير ، ولكننى كنت أعلم من قبل أنها شديدة الخوف من الأماكن المرتفعة ..

قال المحقق :

(شديدة الخوف من الأماكن المرتفعة) ..

– هل قالت لك ذلك يوم الحادث ؟ ..

– كلا ..

– ولماذا تذكرته الآن ؟ ..

قالت كات بدهشة مصطنعة لم تخف على فطنة مايكل :

– أعتقد أن هذا هو التفسير الوحيد لسقوطها من النافذة ..

قام المحقق بتدوين هذه الملاحظة فى الورق الموضوع أمامه ثم

سألها :

– عندما تركتها .. ماذا كانت تفعل يا مسز هوارد ؟ ..

– كانت على وشك ترتيب الدرج الذى تضع فيه جواربها ..

نظر إليها المحقق نظرة طويلة ثم قال :

- أشكرك يا مسز هوارد ..

وعلى الفور ابتعدت كات عن منصة الشهود ، فلمح مايكل جويس شيئاً صغيراً فأنحنى بسرعة لالتقاطه دون أن تشعر به ..

كان مايكل يشعر بالضيق والنفور من هذه المرأة وبأنها تخفى شيئاً هاماً .. فبالرغم من إجاباتها السريعة على الأسئلة وثقتها بما تقول إلا أن ذلك لم يمح الشك من نفسه ، بل إنه الآن صار مقتنعاً بأن لديها شيئاً هاماً .

أخذ يفكر فى هذه المرأة لأول مرة ..

تذكر أنها كانت على صلة وثيقة بإيما الحبيبة .. كانت تذهب إلى منزلها كثيراً ، ولا شك أنها لاحظت إنقلاب أحوال إيما خلال الفترة الأخيرة .. تلك الفترة التى أعقبت فراقهما ، فمن المؤكد أنها كانت تعاني من التوتر العصبى والضيق ، ولكنها رغم ذلك ذكرت فى التحقيق أنها كانت سعيدة للغاية لقرب عودة زوجها إلى أرض الوطن ..

يبدو أنها عمدت إلى تضليل العدالة ! ولكن لماذا فعلت ذلك ؟ ..

هناك تفسيران لهذا الأمر ..

الأول أنها تريد لإيما أن تستريح فى قبرها وتحول دون إجراء المزيد من التحقيقات والمناقشات .. وفى هذه الحالة فإنها صديقة مخلصه تستحق كل تقدير على وفائها ولباقتها ورقة مشاعرها ..

ولكن التفسير الثانى يناقض الأول تماماً ..

فقد تكون هناك أشياء تعلمها وتحاول التستر عليها ، فما هى هذه الأشياء ؟.

عندما نهضت أن المسكينة من مقعدها متجهة إلى منصة الشهود سرت فى القاعة أصوات خافتة تعبر عن الرثاء لهذه الطفلة المسكينة .. كانت أن ترتدى ثوبها المدرسى الأزرق وقد بدت نحيلة الساقين هزيلة الجسد تترنح فى سيرها ..

قال لها المحقق برفق :

- سوف ألقى عليك بعض الأسئلة وأرجو أن تجيبى بكل صراحة .
هل يمكنك ذلك ؟..

غمغمت قائلة بنبرات حزينة :

- نعم ..

- متى رأيت والدتك لآخر مرة ؟.

- قبل أن أذهب إلى فراشى ..

- وأين كانت فى ذلك الوقت ؟.

- كانت فى حجرتها ..

قال المحقق :

- هل دخلت إلى حجرتها وجلست معها ؟.

- نظرت إليه بعينيها الزرقاوين الصافيتين فبدت كعيني إيما تماماً
ثم أجابت :

- كلا .. لقد ذهبت لألقى عليها تحية المساء ..

- وهل فعلت ؟ ..

- نعم ..

- هل وجدتتها فى حالتها الطبيعية المعتادة ؟.

اختلجت أهداب أن .. قليلاً ثم قالت بلهجة مقتضبة :

- نعم ..

- حسناً يا أن .. هل كان هناك شخص آخر بالحجرة عدا

والدتك ؟.

بدأ التردد على وجه الطفلة ثم عضت شفتها السفلى وكأنها على

وشك البكاء وراحت تبحث عن عمته حتى عثرت عليها فى الصف

الأمامى ..

كان مايكل جويس يراقبها مراقبة دقيقة ..

رأى كات ترفع منديلها إلى عينيها وفى هذه اللحظة هزت رأسها

بسرعة علامة النفى .. كانت حركة سريعة للغاية لم تلاحظها عين

ولكن الطفلة التقطتها على الفور فقالت بصوت واضح :

- كلا ..

- ألم تحدث أية أحداث غير مألوفة يا أن ؟.

- كلا ..

وبعد قليل شكرها المحقق وطلب منها الانصراف ..

لم تغفل عينا مايكل عن مراقبة الطفلة لحظة واحدة .. ذهبت أن
لتجلس بجوار عمته كات ثم دمت عيناها ..

عقب ذلك تم استدعاء طبيب الأسرة الذي ذكر التفاصيل الفنية .

أدرك مايكل أنه سمع كل ما يريد وقرر أن يتسلل خارجاً من القاعة
حتى لا تتعرف عليه أن الحبيبة ..

استقل سيارته وعاد إلى لندن وهو يستعيد في ذهنه كل ما سمع
ورأى في القاعة سيطرت عليه مشاعر الحزن الفاجع والخسارة
الفادحة .. لقد فقد بالفعل الحب الوحيد الذي دخل حياته ..

كيف حدث ذلك ؟.

أنه لا يتخيل أن تموت إيما الضاحكة الرقيقة الحبيبة بهذه الطريقة
البشعة .. ياله من شيء رهيب أن تناقش تفاصيل حياتها على الملا
وسط هذه القاعة المليئة بالفضولين .. ولكنها الآن في راحة بعيداً عن
كل هذه المشاكل والأحزان التي يعانيتها وحده .. لكن لماذا ؟ ..
وكيف ؟.

لم يكن مقتنعاً بما حدث ويشعر أن في الأمر شيئاً خفياً ..

نعم .. لقد تذكر ..

أنها لم تكن تخشى الأماكن المرتفعة أبداً ، وهو يذكر الآن كيف كانت تنحني فوق الصخور الشاهقة وتراقب الأمواج خلال ارتطامها بالشاطئ .. كان ذلك على ارتفاع مئات الأقدام .. نعم إنه عرفها جيداً وقضى معها أوقاتاً طويلة ولم تبدو منها أية إشارة على الخوف من الأماكن المرتفعة ..

على العكس .. كانت تبدو في غاية النشوة والسعادة !!.

فهل يمكن أن تتغير خلال هذه الفترة القصيرة ؟ ..

أما فكرة الانتحار فهي غير مقبولة على الإطلاق ..

لقد واجهت الموقف بشجاعة وضحت بحبها من أجل إسعاد زوجها وتأهبت للقاءه وعزمت علي أن تتقبل حياتها معه برضى ..

كانت تضع طفلتها في المقام الأول من اهتماماتها ، فهي حبها الأكبر ومن أجلها تقبلت ظروفها وضحت به حتى توفر للطفلة البيئة الأسرية الصالحة ..

فمن يصدق أن امرأة تتمتع بكل هذه المشاعر النبيلة والخلق القويم يمكن أن تنحرف عن الطريق ويتغلب عليها اليأس فتنتحر وتترك هذه الطفلة الحبيبة يتيمه وتصدم زوجها هذه الصدمة المروعة ؟ ..

ان هذا شيء مستحيل .. مستحيل . لا يصدق عقل ..

فبرغم أنها تركته للمرة الأخيرة وهي حزينة كسيرة الفؤاد إلا أنها

كانت قوية العزم تفكر فى ابنتها أن وفى مستقبلها وسط أسرة
سعيدة متماسكة .

لا بد أن هناك شيئاً حدث بعد ذلك ..

عشرات الأسئلة جالت بذهنه خلال هذا اليوم دون أن يجد لها
إجابة .. ألغى مواعيد العيادة وأغلق أبوابها وراح يتذكر كل شئ عن
إيما ..

طالع فى صحيفة المساء كل تفاصيل جلسة التحقيق وبجوارها
صورة حبيبته الراحلة كأنها تتطلع إليه بعينيها الجميلتين الصافيتين
وأخذ يقارن بينها وبين أن .. انها صورة منها .. وتذكر سؤال المحقق
للطفلة عن وجود أحد مع أمها ليلة الحادث والاشارة الخفية التى
صدرت من كات ثم نفى الطفلة لوجود أحد ..

كان واثقاً أن الطفلة تخفى شيئاً هاماً .. فما هو ؟ وماذا تعرف كات
هوارد ؟ ..

فى هذه اللحظة سمع طرقات على الباب فانتفض ..

وجد الخادمة تسأله عما إذا كان سيتناول طعام العشاء بالمنزل ..

فقال لها :

- كلا .. سوف أتناوله فى الخارج ..

وعلى الفور خطرت له فكرة طارئة ..

لقد سمع كات هوارد تقول للمحقق أنها مقيمة بفندق أركاديا ..
فلماذا لا يذهب إلى هناك ؟!..

لا بد أن يعرف سر مصرع إيما ..

★ ★ ★

الفصل السادس

- قرر مايكل جويس أن ينفذ خطته فوراً .. ولم يكن قد فكر فى الطريقة التى سيبدأ بها الحوار مع كات هوارد ..
- ولكنه وجد طريقة سهلة للغاية للحديث معها ..
- كان الفندق يتميز بالصخب الشديد والضوضاء ..
- تقدم إلى موظفة الاستقبال الحسنة وسألها :
- أين يمكننى العثور على مسز كاترين هوارد ؟.
- قالت دون أن تنظر إليه :
- الحفلة فى حجرة رقم ٢٩ بجناح مسز ديفا ..
- فأدرك أنها لم تسمعه جيداً بفعل الضوضاء الشديدة فقال لها :
- الحفلة ؟.
- فنظرت إليه وقالت :
- عفواً ياسيدى .. لقد حسبته أحد المدعوين إلى الحفلة .
- فقال على الفور :

- نعم .. اننى أريد الحفلة ..

.. يمكنك الصعود إلى الطابق الثانى ..حجرة رقم ٢٩ ..

★ ★ ★

وجد مايكل الحجرة غاصة بعدد من المدعوين من الرجال والنساء
وهم يثرثرون ويضحكون وتتعالى أصواتهم بالصخب والضجيج ..

كان الخدم يتجولون بينهم وهم يحملون أقداح الشراب ..

تسلل مايكل جويس بحذر وسط هذه الضوضاء ..

وفى نفس اللحظة اندفعت نحوه سيدة شقراء فى منتصف العمر .
و بمجرد أن تطلع إلى وجهها تذكرها ..كانت تحضر جلسة التحقيق ..
أمسكت المرأة يده وقالت :

- مرحباً بك يا عزيزى ..اننى سعيدة لحضورك ..

ثم قالت بلباقة :

- لا حاجة بى لتقديمك فلا شك أن الجميع هنا يعرفونك ..

ثم التفتت خلفها وقالت :

- جوان .. تعالى إلى هنا .. إنه مستر ..

ولم تكن تعرف الاسم .. فقالت بسرعة :

- ما هذا ؟ هل تقف هكذا دون أن نقدم إليه أى مشروب ؟ ..

وعلى الفور أمرت أحد الخدم بتقديم الشراب إليه ثم تركته مع الفتاة وذهبت لكي تستقبل القادمين .. وسمعتها مايكل تكرر نفس عباراتها السابقة ..

تطلع إلى الفتاة التي وقفت معه فوجدها حسناء تتميز بشعرها الأسود الفاحم ..

قالت له :

– اننى لا أستطيع أن أشرب هذا القدر .. ولكن ها هي كات هوارد .. كيف تحضر إلى الحفل فى يوم الجنازة ؟ ..

نظر إليها مايكل خلسة ..

كانت ترتدى الملابس السوداء بينما كانت الابتسامة تضئ وجهها ، وقد أحاط بها عدد من المدعوين ..

لم تتغير هيئتها عما رآه فى قاعة التحقيق ، ولكنها هنا تبدو أكثر حيوية وتألّقاً ومرحاً .. كما كانت تبدو مستمتعة .. بهذا الحفل إلى حد كبير .

وعلى الفور شق مايكل طريقه إليها وسط الزحام الشديد ، ولكنه قبل أن يصل إليها تصيدته مسز ديفا مرة أخرى وهتفت قائلة :

– هل تركوك وحدك مرة أخرى يا عزيزى ؟ .

وراحت تحدث نفسها قائلة : أين رأيت هذا الشاب الوسيم الفاحم الشعر ؟ .. وكيف نسيت اسمه ؟ ..

وعلى الفور قدمته إلى فتاة طويلة القامة نحيلة تفتقد إلى الجمال
ثم تركته معها وانصرفت .. بعد أن ذكرت للفتاة أن اسمه بيتر ، أما
الفتاة فقدمتها إليه باسم سيلفيا ..

ألقي إليها مايكل بتحيةة فاترة وسمع خلفه صوتاً يقول :
- ومن الذى اكتشف الجثة ؟

فشعر بالضيق واعتذر للفتاة ثم بدأ يشق طريقه نحو كات التى
كانت محاطة بعدد كبير من المدعوين وسمع جوان تقول :

- مسكينة إيما . لا شك انك ستشعرين بفراغ كبير بعد رحيلها
ياكات ..

ورأتها كات فقالت :

- مرحباً بك يادكتور .. ان آخر شئ كنت أتوقعه أن أراك فى هذا
الحفل ..

قال مايكل :

- وأنا أيضاً لم أتوقع رؤيتك فى أى حفل ..

-اننا لم نلتق منذ وقت طويل ..

فابتسم لها وهو يقول :

- ولكنك فى حالة طيبة للغاية ..

- لا تدع المظاهر تخدعك ياعزيزى .. اننى فى غاية التعاسة ..لقد

قُضيت يوماً عصيباً ، ومن المؤكد انك طالعت فى الصحف بنا
سقوط زوجة أخى من النافذة ووفاتها ..
تظاهر .. مايكل بالحزن وغمغم قائلاً :
- نعم .. لقد علمت بالخبر من الصحف .. اننى شديد الأسف
لذلك ..

قالت كات :

- وقد عدت من الجنازة على التو ..
وهنا اندفعت عجوز يبدو عليها الفضول وقالت :
- يالك من امرأة مسكينة ياكاترين .. مالذى حدث لزوجة أخيك ؟
هل ألقت بنفسها من النافذة ؟ ..
لم تنظر إليها كات وهى تقول :
- كلا بالطبع ..
فقال العجوز :
- لقد قلت لزوجى بالأمس ان كات المسكينة ستتحمّل عبء هذه
الطفلة اليتيمة ...
- تقصدين أن ؟ ..
ألقت كات بهذه العبارة بدون إكتراث فشعر مايكل بالحزن الشديد
ولكنه تمالك نفسه .. ابتعدت العجوز فقالت كات :

- إنها امرأة فضولية لا تكف عن الأسئلة ..

سألها مايكل :

- هل هي من أصدقائك ؟ ..

نظرت إليه بعينيها الساحرتين وقالت :

- ان الجميع يحاولون أن يكونوا أصدقائي في هذه الأيام من أجل معرفة تفاصيل وفاة إيمان المسكينة .. انه حادث مروع ..

ابتسم لها مايكل ابتسامة ذات مغزى وقال لها :

- يجب علينا أن نبتعد من هنا حتى لا تلاحقك الأسئلة منها ومن غيرها ..

وأسعدها كثيراً أن تذهب بصحبة هذا الشاب الوسيم فقالت :

- معك حق .. لابد أن ابتعد عنهم ..

وقبل أن يغادرا الحجرة ألقت بهما سيلفيا فقالت مخاطبة كات :

- كات .. أريد أن أعرف منك الحقيقة .. أن زوجي يقسم بأن هناك شخصاً دفع إيمان النافذة ولكنهم قرروا إخفاء الحقيقة حتى لاتحدث فضيحة .. فهيا بنا نجلس في هذا الركن لأعرف منك كل التفاصيل ..

نظرت كات الى مايكل وقالت :

- كلا .. انتى الآن ..

فنظر مايكل إلى ساعته وقال لينقذها من ورطتها :
- أن والدتك تنتظر منك مكالمة تليفونية الآن فلا داعى للتأخير ..
ارتبكت لحظة ثم فهمت المناورة وقالت :
- نعم .. سوف أذهب .. إلى اللقاء ياسيلفيا ..
وعند الباب قالت لمايكل :
- اننى لا أعرف كيف أشكرك ..
وقبل أن يغادرا الغرفة وجدا أمامهما مسز ديفا التى هتقت قائلة :
- كيف تنصرفين الآن ياعزيزتى ..انك لم تتناولى العشاء بعد ..
قالت كات :

- ان الجميع يسألوننى عن الجريمة ولم أعد احتمل المزيد من
الأسئلة .. أما العشاء .. ثم نظرت إلى مايكل نظرة ذات مغزى ..
ففهمت مسز ديفا وابتسمت بينما قالت كات لمايكل :
- هيا بنا من هنا بسرعة فها هى العجوز الثرثرة قادمة ..
وبعد أن انصرفا ظلت مسز ديفا تراقب كاترين وتتساءل : هل
تحب كات حقاً ؟ وهل كات تحبها ؟ ولماذا تنصرف بصحبة أجمل
الرجال لتتناول معه العشاء رغم أنها وعدتهم بالعشاء معهم لتقص
عليهم تفاصيل الحادث ؟ ..

★ ★ ★

ذهب مايكل بصحبة كات إلى أحد المطاعم الفاخرة الصاخبة التي
تفضلها المرأة بلاشك ، فهي على العكس من حبيبته الراحلة إيما التي
كانت تحب الأماكن الهادئة والمطاعم الصغيرة البعيدة عن
الضوضاء ..

قالت كات :

- لقد أحسنت اختيار المطعم يا عزيزى .. إننى أحبه كثيراً وأشعر
فيه بالراحة ..

وبعد أن جلسا فى المائدة المميزة التي حجزها مايكل قالت :

- اننى لا أرتدى الثياب التي تليق بهذا المكان فقد عدت من الجنازة
مباشرة .. كانت الجنازة اليوم ..

- حقاً ..

راح يتطلع إليها وإلى وجهها الجامد الذي لا يعبر عن شيء من
الانفعالات ، كما لفت نظره أنها تحلى صدرها بحلى من الماس المتألق
وتساءل .. هل هذه من مظاهر الحزن والحداد ؟ .. أنها أنيقة للغاية
شديدة الاعتناء بملابسها وأناقته وزينتها ..

حتى الملابس السوداء التي ترتديها لا تدل على أنها حزينة أو
عائدة من جنازة زوجة أخيها .. وبعد أن انتهت من استكمال زينتها
قال لها مايكل :

- ماذا ستفعلن مع أن ؟ ..

بدت على وجهها دلائل الدهشة وهتفت قائلة :

— أن ؟ هل تعرفها ؟..

فقال بهدوء :

— بالطبع .. لقد أجريت لها جراحة منذ عدة .. أشهر ..

فضحكت وقالت :

— نعم .. لقد تذكرت .. يالى من غيبة ، لقد خشيت أن تكون كغيرك من الفضولين الذين تركت الحفلة من أجلهن وكدت أنسى المرة الأولى التى رأيتك فيها ..

قال مايكل :

— حسناً .. ماذا تم بشأن الصغيرة أن ؟..

— لقد أرسلتها إلى والدتى فى (بات) ، ولم أذهب معها لأن علاقتى بوالدتى ليست على مايرام وأعتقد أنك لاتهتم بهذه الأمور..
— بل إنها تهمنى كثيراً ..

— أشكرك على ذلك .. ويبدو أننى أهزى الليلة بفعل الشراب الذى قدمته لى مسز ديفا ..

— سوف تصبحين فى حالة طيبة عقب تناول طعام العشاء ..

ولكنه قرر أن يستدرجها فى الحديث مستغلاً حالتها ..

سألها قائلاً :

- وماذا بشأن المنزل ؟ ..

- أى منزل تقصد ؟ .

- منزل مسر رايت ؟ ..

قالت بضيق :

- تم عرضه للبيع ..

- بهذه السرعة ؟ .

- نعم فقد أبعدنا عنه أن ليلة وفاة إيمان ، كما أن أخى فيليب لن يطيق دخوله بعد ما حدث ..

وتخيل واجهة .. المنزل الأنيق الذى يقف شامخاً وسط الحدائق والأشجار.. لقد أصبح هذا المنزل الجميل خرباً مقفراً تماماً كما أقفرت حياته وأصبحت بلا معنى بعد رحيل حبيبته ..

.. أغمض عينيه فشعر بأن دقائق قلبه تهتف باسم إيمان ..

وأفاق على صوت كات وهى تطلب الطعام وراح ينتقى لها أفضل أنواع الطعام ويتظاهر بالمرح ويلقى ببعض كلمات المجاملة حتى تنفتح شهيتها للحديث ..

كان يراقبها بدقة وكأنه يضع إحدى الجرائيم تحت المجهر ويراقب أطوارها .

وبعد انتهاء السهرة قالت له :

- أننى عاجزة عن شكرك .. لقد أنقذتنى من حفلة مملة وجعلتنى
أقضى سهرة ممتعة هل يمكن أن نلتقى مرة أخرى ؟..

فقال بلهجة ودية :

- كنت على وشك أن أقول ذلك .. ما رأيك فى أن نلتقى شداً فى
نفس المطعم فى تمام الساعة السادسة ؟..

- سوف أكون هناك ..

ثم صافح يدها التى يغطيها القفاز وظل يراقبها حتى دخلت إلى
منزلها ..

★ ★ ★

الفصل السابع

خطر ببال مايكل جويس أن يقوم بزيارة منزل حبيبته الراحلة
إيما ..

و ذات مساء غادر لندن ليقطع نفس الطريق الريفى الذى قطعه مع
حبيبته من قبل ..

وتذكر تلك الأمسية الرائعة التى قضاها معها ..

كان الدافع الأول لهذه الزيارة هو مشاهدة منزل الحبيبة الراحلة ،
فلم يسبق له رؤيته ويتمنى أن يقضى فيه بعض الوقت يستروح
نسائهما ويستعيد ذكرياتها .

كما كان يعتقد أن رؤية المنزل قد توحى إليه بحل لهذا اللغز الذى
استغلق عليه ..

لغز مصرعها بهذه الصورة المفاجئة ..

وتساءل : لماذا يبدو الطريق أطول ؟ هل يمكن أن يكون قد ضل
الطريق ؟

خفف من سرعة السيارة وأخذ يتطلع حوله حتى رأى المعبد

الصغير وسط الحقول فاطمأن أنه يسير فى الطريق الصحيح وأطلق للسيارة العنان وحاول بقدر جهده أن ينسى ذكريات تلك الليلة التى وقفت فيها إيما مرتكزة على جدار المعبد .

لقد ذكرت له أنها تشعر بالراحة فى هذا المكان !!

ولكنها حصلت على الراحة الأبدية والسلام الدائم ..

أوقف السيارة فى الممر المؤدى إلى منزلها الحبيب ثم أطفأ أنوارها وراح يتأمل المنزل وسط هذا السكون الشامل ..

لم يكن هناك أدنى صوت كما كان الظلام حالكا ..

راح يطوف حول البيت لعله يجد منفذاً يدخل منه ولكن بدون جدوى ، كانت الأبواب والنوافذ محكمة الغلق ولا يمكنه اقتحامها ..

عثر على نافذة زجاجية صغيرة بجوار المدخل الرئيسى فقرر اقتحامها ..

وجد قطعة كبيرة من الحجارة فتناولها وكسر بها زجاج النافذة التى تفتت وأحدث صوتاً مقبضاً وسط هذا السكون .

توقف مايكل قليلاً وهو يرهف السمع حتى تحقق من عدم وجود أى حركة بداخل البيت فمد يده وفتح النافذة ثم تسلق حافتها ووثب إلى داخل المنزل بخفة ..

توقف قليلاً حتى تعتاد عيناه الظلام ، وكانت خيوط من أشعة القمر تدخل إلى المنزل عبر النوافذ فتبديد الظلمة قليلاً ..

لمح أحد الأبواب فى نهاية الردهة فتقدم إليه ودفعه برفق فانفتح
فوجد ضوء القمر يغمر الغرفة ولمح الشرقة الكبيرة التى تنتهى بدرج
يؤدى إلى الحديقة ..

وفجأة شعر بهدير خافت أعقبه صوت شىء يسقط على الأرض .

ثم سمع رنين شىء منتظم ..

شعر بالخوف فاستدار على الفور ورأى هرة تجرى بسرعة فيما
رأى شيئاً معدنياً مثلث الشكل على الأرض أسفل البيانو فالتقطه على
الفور ، فوجده جهازاً يشبه الساعة ولكنه مصنوع لضبط الإيقاع
الموسيقى فأعاده إلى موضعه .

كانت هذه هى غرفة الجلوس التى كانت تقضى فيها إيمان معظم
أوقاتها .

راح يتأملها فوجد أن كل شىء فيها كما هو لم يمس بعد وكأنها
سوف تعود مرة أخرى ..

والبيانو مازال مفتوحاً .

خطر بباله أن يجرى بإصابعه عليه لعله يشعر ببعض الراحة .. ألم
تمس أناملها الحبيبة هذه المواضع ؟

وراح يتذكر قولها إن الموسيقى راحة للأعصاب وتهذيب للنفس
ووسيلة رائعة للتسلية عندما يكون الإنسان وحيداً ..

وتمنى أن يجد فى الموسيقى شيئاً من التسلية يوماً ما ..

كانت النوتة الموسيقية موضوعة فى موقعها فوق المعزف وبها مقطوعة موسيقية لموزار .

وأدرك أن إيما كانت تتدرب على هذه المقطوعة وتستعين بجهاز التوقيت .. أسكت الجهاز فساد الغرفة صمت عميق ..

صعد إلى الطابق العلوى ودخل كافة الحجرات فوجدها مظلمة مغلقة النوافذ وأيقن أنه لم يدخل حجرتها بعد ..

وعندما دخل إلى الغرفة التالية أيقن أنها غرفة إيما .. أنها مازالت تحمل رائحة عطرها الرائعة ..

شعر أن الغرفة مقبضة موحشة فى غياب صاحببتها ..

ذهب إلى النافذة وجذب الستارة بقوة فتسلل ضوء القمر إلى داخل الغرفة .. ثم فتح النافذة ..

دخل نسيم الليل العليل إلى الغرفة محملاً بعبير الأزهار المنعشة ..

كانت النافذة طويلة تمتد من السقف إلى قرب الأرض حيث لم تبلغ قاعدتها ركبته ..

وقف أمامها يتأمل الريف والحقول المترامية الأطراف وهو يشعر بالحزن ..

استطاع أن يميز المعبد الصغير الذى كانت إيما تحبه بينما كرهته كات ..

ولم يسمع أصوات الأرغن التى تحدثت عنها إيمان ، فقد كانت الريح ساكنة ، ولم تكن هناك أية أكواخ أو منازل قريبة .. أشجار وحقول فقط ..

عندما سمع نقيب البومة بالقرب منه شعر بالحزن يعصف به ، وتذكر حبيبته الراحلة التى وقفت مراراً فى هذا الموضع وهى تتأمل السكون الشامل وتستمتع بالمنظر الرائع .. منظر الحقول المترامية والتلال المنحدرة وخط الماء الذى يتألق على البعد ..

ونظر إلى الأرض أسفل النافذة ..

كان الفناء مرصوفاً بالحجارة المصقولة التى ظهرت بقطعها الصغيرة كلوحة الشطرنج من هذا العلو الشاهق .

ونذكر كيف سقطت حبيبته .. لا بد أنها كانت ترى هذه الأحجار كما يراها الآن . أنه آخر منظر رآته قبل وفاتها .. لقد سقطت وأصبحت كومة من الحطام بلا معالم .

شعر بدوار هائل وكاد يسقط من النافذة لولا أن تشبث بحافتها بقوة ..

كانت المناظر غير واضحة أمامه فابتعد عن النافذة وكان وجهه شديد الشحوب ..

لم يستطع أن يمحو من ذهنه صورة الحبيبة إيمان وهى تسقط من هذا الارتفاع الشاهق ..

كان يتصورها وكأنها حقيقة ماثلة أمام عينيه .

وضع يديه على عينيه ثم تراجع إلى الخلف وتوقف قليلاً حتى استعاد توازنه وتمكن من السيطرة على نفسه ولم يحاول النظر من خلال النافذة مرة أخرى ..

مد يده بسرعة فأغلقها ثم جذب الستائر وأعادها إلى موضعها .

غرقت الغرفة مرة أخرى فى الظلام الدامس ..

وقف لحظات يتنسم عطرها الحبيب ثم غادر الغرفة إلى الردهة ثم هبط الدرج إلى قاعة الجلوس ..

اتجه على الفور إلى البيانو وأدار جهاز ضبط الإيقاع مرة أخرى .

أخذ يتذكر الأغنية التى تغنت بها العزيزة أن يوماً وسجلتها لها إيما على اسطوانة ..

وبعد قليل أوقف الجهاز .

جلس أمام البيانو وراح يداعب أوتاره بأنامله محاولاً تقليد عزف إيما للأغنية التى سمعها فى تلك الليلة حيث كانت تقوم بإصلاح أخطاء أن على الاسطوانة .. وتذكر كلماتها الرقيقة التى تفيض بالحنان والحب وهى تقول :

- لقد أخطأت فى هذا الموضع ..

راح مايكل يعزف الأغنية على البيانو وقد استغرق فى العزف ولم

يشعر بالزمان أو المكان وغرق فى ذكرياته ..
وفجأة أضيئت الغرفة بسرعة البرق .
عجزت عيناه عن الإبصار عدة ثوان وبعدها رأى أثاث الغرفة
وأوانى الزهور التى كانت جافة ..
وعلى الفور استدار خلفه ..
رأى كهلاً أبيض الشعر يقف بباب الحجرة ..
راح الكهل يتطلع إليه مشدوهاً وقد بدا الرعب على وجهه وغمغم
قائلاً :
- يا إلهى .. إنه إنسان !!
صاح مايكل بحدة :
- من أنت ؟
فقال العجوز حانقاً :
- عليك أنت أن تجيب على هذا السؤال .. من أنت ؟ وكيف دخلت
إلى هنا ؟
- كنت أظن البيت خالياً ..
قال العجوز بحدة :
- لاشك إنك لص وساقبض عليك بتهمة اقتحام منازل الغير ..

فلم يتمالك مايكل نفسه من الضحك فقال العجوز مرتعداً :

- ولكنك بشر مثلنا .. أليس كذلك ؟

- وهل أبدو فى صورة شبّح ؟

وبعد أن اطمأن الكهل قال لمايكل :

- لو كنت فى مكانى لتصورت ذلك .. لقد ماتت السيدة منذ أربعة أيام فقط وكانت نهايتها مؤلمة ، ولكنها لم تكن تعزف على البيانو وقتها ..

كان الرجل يتحدث عنها بإجلال واحترام ..

قال له مايكل :

- هل سمعتها فى هذا اليوم ورأيتها ؟

أوما العجوز برأسه وقال :

- لم تكن تسمح لى بأن أراها أبداً وكنت أسمع صوت خطواتها على الدرج فلا أستطيع الدخول لرؤيتها ..

كان العجوز يتحدث عنها بلهجة تفيض بالحنان ..

تقدم بحذر نحو مايكل وقال :

- هل ستأتى معى بهدوء أم أستدعى رجال البوليس إلى هنا ؟

قال له مايكل : -

- هل أنت المسئول عن هذا البيت ؟

- اننى الحارس .. فماذا أخذت ؟

- لم أخذ شيئاً ..

قال العجوز :

- عندما تسطو على منزل بعد ذلك فلا تقم بالعزف على البيانو حتى لا يفتضح أمرك وتفشل مهمتك ..

فهز مايكل رأسه موافقاً وعندما اقترب من الباب الخارجى سأل العجوز قائلاً :

- هل أنت تعرف صاحبة البيت ؟

هتف العجوز :

- أعرفها ؟ اننى أعمل عندها منذ عشر سنوات .. مهمتى هى العناية بالحديقة ..

قال مايكل :

- إذن أنت البستانى كلاى .. هل أنت الذى تقوم بالعزف على الأرغن فى المعبد ؟

نظر العجوز إليه بدهشة وقال :

- هل تعرفنى ؟ إذن فهيا بنا نجلس فى حجرتى الدافئة لتناول قدحاً من الشاي .. هيا ..

رحب مايكل بالدعوة وتبع العجوز ..

وفى الطريق قال له :

- علمت أن مسز هوارد لم تكن تحب عزفك على الأرغن ..

لاحظ مايكل علامات الاشمئزاز على وجه الرجل وكأنه يوشك أن
يبيصق على الأرض ثم قال :

- مسز هوارد .. إنها امرأة فظيعة لا تحتمل وتدس أنفها فى كل
شء .. لقد أحالت حياة سيدتى الراحلة إلى جحيم ..

شعر مايكل بمدى حزن الرجل على إيما وغضبه على كات وتمنى
أن يجد لديه معلومات جديدة بشأن الحادث الغامض الذى قلب
كيانه ..

سار مايكل خلف كلاى العجوز الذى قاده عبر الردهة ثم إلى درج
حجرى يؤدى إلى القبو فرأى حجرة صغيرة مضاءة بمصباح صغير
ورأى إبريق الشاي على النار وشم رائحته الذكية .

وفى وسط الحجرة كانت هناك منضدة صغيرة عليها بعض أوراق
اللعب ..

كان من الواضح أن الرجل يعيش وحده فى هذه الحجرة المنعزلة
ولذلك كان فى غاية السعادة عندما قبل مايكل دعوته ..

قال لمايكل :

- تفضل بالجلوس يا سيدى .. يا إلهى .. لقد كانت مأساة مروعة .. من الذى يتخيل أن تموت تلك السيدة الرقيقة بمثل هذه الطريقة البشعة؟

ترقرقت الدموع فى عينيه وقال بنبرات حزينة :
- ولكنك جئت متأخراً يا سيدى .. اننى أكون نائماً غالباً فى مثل هذا الوقت .

قال مايكل ضاحكاً :
- كان بإمكانى مواصلة العزف إذا حضرت متأخراً عن ذلك قليلاً ..

وبعد أن جلس كلاى مع مايكل أيقن أنه لا يمكن أن يكون لصاً يسطو على المنازل فهو رجل مهذب كما تبدو عليه ملامح الثراء .. قال له :

- كان بإمكانك قضاء الليل كله فى المنزل لو أحسنت إختيار الليلة المناسبة لذلك ..
- حقاً ؟

قال كلاى :
- نعم ففى يوم الجمعة أركب دراجتى وأذهب إلى منزل أختى لزيارتها وقضاء الليل عندها ..
قال مايكل ضاحكاً :

- أشكرك على هذه المعلومات القيمة يا سيدى .. فى المرة القادمة
سوف أحضر يوم الجمعة حتى يمكننى أن أسرق بسهولة ..
هز كلاى رأسه نقياً وقال :

- من المستحيل أن تكون لصاً يا سيدى... اننى أعرف اللصوص
من رائجتهم ، كما أن سلوكك لا يتفق أبداً مع سلوك اللص الذى
يكون قلقاً متعجلاً .. كلا .. إنك لست لصاً ..
قال مايكل بحزن :

- شكراً على ثقتك يا كلاى .. كنت صديقاً لمسز رايت وأردت أن
ألقى نظرة على منزلها وأعاين مسرح الحادث بنفسى ..
ضرب كلاى المنضدة بقوة وصاح قائلاً :
- ماذا تقول يا سيدى ؟ إنه لم يكن حادثاً على الإطلاق ..
- ولكن .. ولكن المحقق قال إنه ..
فقاطعه كلاى ثائراً :

- سيدى أرجو أن تنصت إلى جيداً .. كيف تتخيل أن تسقط سيدة
من النافذة التى واطبت على النظر من خلالها أكثر من عشر أعوام
كاملة ؟ إن هذا شئ غير معقول ..
وهى أيضاً فى صحة جيدة لا تعانى من أية أعراض مرضية ولا
تخاف الأماكن المرتفعة كما ادعى بعضهم فى جلسة التحقيق ..
هز مايكل رأسه موافقاً بينما استطرد العجوز قائلاً :

- اننى أشك فى هذه الشيطانة الملعونة التى تدعى مسز هوارد ..
أنها وراء كل شر يحدث هنا ..

قال مايكل ببطء :

- من الواضح أنك تكره هذه المرأة كثيراً يا كلاى وهذا هو السبب
الذى يدفعك لاثامها فى هذا الحادث ..

وكما توقع مايكل تماماً .. وكما دبر فقد ثار الكهل وقال بحدة :

- إنك لا تعرف أى شىء يا سيدى .. كما أننى لست الوحيد الذى
قال ذلك فهناك دوريس بوند الوصيفة وأيضاً الطاهية .. أن هذا
رأيهما أيضاً .. أن مسز هوارد امرأة لا تطاق .. كانت تحاول فرض
إرادتها على مسز رايت وتتدخل فى كل شىء حتى فى أمور أن
المسكينة .. وكانت دائماً تستفز مسز رايت وتعمل على إثارة أعصابها
ولذلك تشاجرتا ورحلت مسز هوارد من هنا ..

- ولماذا رحلت ؟

قال العجوز :

- إنها كانت تقيم هنا بصورة مؤقتة عقب مقتل زوجها ، وكانت
ضيفة ثقيلة للغاية لا تكف عن طلب النقود وغيرها من الأشياء الثمينة
التي تعتز بها مسز رايت ثم وقعت حادثة السجادة ..

- أى سجادة ؟

- سرقت مسز هوارد سجادة ثمينة وعندما اكتشفت مسز رايت

الأمر تظاهرت أمامنا بأنها وهبتها هذه السجادة ، ولكننا كنا نعلم الحقيقة .. لقد أقبلت سيارة فى صباح أحد الأيام وحمل سائقها السجادة ورحل بها ..

ورغم أنها كانت سجادة ثمينة إلا أن مسز هوارد باعتها بثمن بخس .. كانت سجادة شرقية ثمينة وكانت مسز رايت تفخر بها كثيراً ..

وقد تكررت مثل هذه الأمور من قبل مسز هوارد مما أزعج مسز رايت الرقيقة الطيبة الكريمة الأخلاق .

هز مايكل رأسه بحزن وقال :

- نعم .. إن هذه هى صفاتها ..

ظل الكهل يتحدث عن مسز رايت بلا انقطاع ومايكل يصغى إليه ، وأخيراً نهض قائلاً :

- كفى ذلك وسوف أنصرف الآن ..

صاحبه كلاً إلى الباب الخارجى وهو يواصل حديثه فقال :

- لقد حاولت هذه الشيطانة طردى من المنزل وادعت أننى لا أجيد العزف على الأرغن .. ترى هل تحب الغناء يا سيدى ؟

قال مايكل بلهجة حزينة :

- منذ فترة طويلة لم أحاول الغناء ..

- أننى أعانى الوحدة دائماً ولا أجد من أتحدث إليه إلا عندما

أذهب لزيارة أختى ..

- قد أحضر إليك هنا فى ليلة قادمة .. هل توافق ؟

تهلل وجه الرجل وقال :

- بالطبع يا سيدى .. يمكنك أن تحضر إلى هنا فى أى يوم عدا يوم

الجمعة كما أخبرتك .. أننى أرحب بك فى كل وقت ..

وهمس فى أذن مايكل قائلاً :

- أعتقد أن مسز هوارد هى التى دفعت مسز رايت من النافذة ..

خفق قلب مايكل بشدة ولكنه قال بهدوء :

- ولكن لماذا تفعل مسز هوارد ذلك ؟ أننى لا أصدق أن تقوم على

عمل بشع كهذا !

انقلبت سحنة كلاى وهو يقول :

- يجب أن تصدقنى يا سيدى .. إن هذه المرأة لا تتردد فى القيام

بأى عمل شرير أبداً ..

قال مايكل :

- ذكرت الوصيصة دوريس أن مسز هوارد غادرت المنزل قبل

الجاث بنصف ساعة ..

- قالت ذلك حتى لا تثير الأقاويل حول سيدتها الراحلة ..

ثم تصافحا وانصرف مايكل ..

★ ★ ★

الفصل الثامن

أحكم مايكل الحصار حول كات هوارد فراح يدعوها إلى المطاعم الفاخرة والأندية الراقية وينفق عليها بلا حساب ..

لم يكن يفعل ذلك عبثاً بل كان يتبع خطة دقيقة للإيقاع بهذه المرأة وهو يعلم جيداً أنها تحب أن تتحدث عن نفسها كثيراً ..

توقع أن يفلت لسانها في إحدى الليالى نتيجة الإسراف فى الشراب والرغبة الدائمة فى الحديث عن نفسها .. كان كل منا يفعله من أجل معرفة حقيقة موت حبيبته إيما وهو واثق أن كات تعرف الحقيقة ..

كان هناك الكثير من الشكوك التى تحوم حول كات ، ففى جلسة التحقيق ادعت أن إيما كانت شديدة المرح والسعادة بسبب عودة زوجها ، وكذلك إشارتها الخفية إلى أن عندما سألها المحقق عن وجود أحد مع أمها قبيل وفاتها ، فذلك يؤكد أن هناك شخصاً ما كان معها بالفعل وإلا فلماذا فعلت ذلك ؟ ..

ترى من هو هذا الشخص ؟ .

ولماذا حرصت كات هوارد على إخفاء شخصيته عن المحقق ؟ وهل

كانت هى أم شخصاً غيرها ؟.

وكذلك علم الكثير من كلام الطبيب الذى تحدث بدون أى ضغوط
وكان يعبر عما يدور بذهنه ويقتنع به ، وكان مايكل واثقاً من صدق
الرجل وأمانته وإخلاصه لسيدته الراحلة إيما ..

ولكنه كان متحاملاً على كات كثيراً .. فهل يمكن أن تكون هى التى
دفعت إيما من النافذة ؟ إن هذا إتهام خطير للغاية ..

لا يوجد أى دليل على ذلك ، كما أن الخدم لا يكفون عن الثرثرة ..
إن كلاً يكره كات إلى أقصى درجة .. ولكنه عاش فى المنزل
أعواماً طويلة ويعرف عنها الكثير والكثير بلاشك .

استعاد مايكل حديث كلاً فى ذهنه وتوقف عند عبارته :

(يجب أن تصدقنى .. إن هذه المرأة لا تتردد فى القيام بأى عمل
شريراً أبداً) .

ولم يستطع أن ينسى هذه العبارة ..

تذكرها وهو جالس أمام كات التى كانت فى كامل زينتها وأناقتها
.. وراح يتأملها بشعرها الأسود الفاحم وقبعاتها الانيقة وفمها الدقيق
الجميل ويديها البضتين المصقولتين الأظافر .. وراح يتأمل يديها
ويتساءل : هل يمكن أن تكون قد دفعت إيما بيديها هاتين ؟! ..

ابتسمت له وهى تقول :

- إننى اليوم سعيدة للغاية يا مايكل ، فقد فاز الجواد الذى راهنت

عليه فى السباق بمعجزة بعد أن كنت أفقد الأمل والنتيجة أننى رحت مبلغ مائتى جنيه .

لاحظ مايكل أنها كانت تولى الأمور المالية اهتماماً كبيراً وتتحدث عنها كثيراً فى كل الأوقات . .

استطردت قائلة :

- لقد تأمر الجميع ضدى ليحرمونى من النقود .. أهلى وأهل زوجى ولذلك تجدنى دائماً فى حالة من التوتر العصبى والضيق . .

- ولكن زوجك كان ؟.

فقاطعته قائلة بسخرية :

- زوجى .. أن أفضل شئ فعله أنه مات مبكراً !!.

★ ★ ★

كان مايكل يعرف هذه النوعية من النساء جيداً .. إن كل ما يهمن هو أنفسهن فقط ولا شئ غير ذلك ..

وكات هوارد مثالا حيا للأنايية وحب الذات والاستهانة بكل شئ فى مقابل الحصول على ما تريد .. أنها تخفى تحت ثيابها الأنيقة ومظهرها الجميل أسوأ النوازع البشرية وأحط الصفات الإنسانية إن كل ما يهمنها فى الدنيا هو نفسها ونفسها فقط ..

تعشق الثياب الفاخرة والفراء والحلى الثمينة والنقود ومظاهر

الثراء والبذخ .. معشوقها الأول هو المال الذى لا تتورع عن استخدام أخط الوسائل للحصول عليه .. قالت يوماً لمايكل أنها تريد الحصول على أكبر قدر من المال حتى تجعل حياتها ذات قيمة !.

وما هو هذا الشيء الذى يجعل حياتها ذات قيمة ؟.

كان مايكل يتساءل بينه وبين نفسه بينما تواصل كات الحديث عن مشروعاتها التى ستقوم بها إذا ما توافر معها مليون جنيه !. .

تحمل مايكل الكثير من تفاهاتها وأنانياتها ولم يبد أى امتعاض منها حتى تطمئن إليه بل إنه كان يطلب لها أغلى أنواع الطعام وأكثرها ندرة حتى يشعرها بالسعادة ويستحوذ على رضاها وثقتها .. إنها تحب كل ما هو غال وثمان .. .

ورأى كيف يمكن أن يستحوذ كل صاحب مال على مثل هذه المرأة بسهولة .. .

فى البداية يتظاهر بالاهتمام بها فتحسب لغرورها أنه وقع فى حبها ثم ينفق عليها ببذخ ويوفر لها الطعام الفاخر والشراب ثم يحصل على ما يريد منها بسهولة .. .

وهكذا وبمرور الايام بدأت كات تأنس إلى مايكل وتتحدث معه بلا تحفظ .. .

عرف عنها الكثير والكثير ولكن بقى أهم شيء لم يعرفه .. الحقيقة .. .

تحدثت .. كثيراً عن زوجها الراحل وعن أسرتها التي كانت تقاطعها ، واتهمت كات أهلها بأنهم أشقاء لا يرسلون إليها بالنقود . كما تحدثت عن فضائح أصدقائها

واكنها لم تتحدث أبداً عن إيمان !!.

رغم ذلك فقد شعر بالرضا والسرور لأن هذا يثبت نقاء إيمان وطهارتها .

أخذ مايكل يحاول دفعها للحديث عن إيمان ويشجعها على ذلك حتى بدأت تتحدث عنها أخيراً ..

ولكن حديثها عنها كان متحفزاً ، ولمح خلاله نظرة جامدة متحفظة تطل من عينيها وهي تتحدث عن إيمان وحار في تفسير هذه النظرة ..

أنها تكون في حالة طيبة من السعادة والحيوية ولكن عندما يتطرق الحديث إلى إيمان تتحول إلى الجمود والتحفظ وتجيب على أسئلة مايكل إجابات مقتضبة وتحول دفة الحديث إلى اتجاه آخر ثم تستعيد سيطرتها على نفسها ..

كاد مايكل جويس يجن من طول التفكير في إيمان حبييته ..

لقد نسيها الجميع تماماً عدا هو .. أنها مازالت حية ماثلة أمامه في كل لحظة .. كان يذرع غرفته طوال الليل جيئة وذهاباً وهو يفكر فيها ويستعيد حديثه مع كات عن إيمان ويتذكر كل لمحاتها وانفعالاتها

ونبرات صوتها ويحاول أن يحللها ..

رد الفعل الدائم لدى كات عندما تجئ سيرة إيما هو الجمود وعدم
الأكتراث .. لم يجد لديها لمحة من الحزن والرثاء ..

وبدون دليل مادي أصبح مايكل مقتنعاً بأن كات هوارد هي
المسئولة عن قتل إيما .. نعم القتل .. لقد ترسخت هذه النظرية في
ذهنه وأصبح مؤمناً بها مثل كلاى البستاني تماماً ..

ومثل كلاى أيضاً بدأ يبحث عن كل ما يؤكد إتهام كات بقتل حبيبته
إيما ..

قرر في النهاية شيئاً رهيباً للغاية .

إذا ثبت لديه أن كات هي قاتلة إيما فسوف يقتلها بدون تردد ..
وسيكون في غاية السعادة إذا فعل ذلك .. أنها حيوان حقير
لا يستحق الحياة ولا يجب أن يظل على قيد الحياة حتى لا يفسد حياة
البشر ..

نعم وسوف يحطمها تماماً ويقضى عليها قضاء مبرماً بلا رحمة ..
فقد قتلت المرأة الوحيدة في العالم التي أحبها ..
وهي بنفسها التي سوف تخبره بالحقيقة ..

★ ★ ★

في اليوم التالي حصل مايكل على معلومات هامة للغاية من
كات ..

كان جالسا معها فى أحد المطاعم الفاخرة عندما طلبت نوعاً قوياً من الشراب بحجة أن أعصابها مرهقة ، ولما سألها عن السبب فى ذلك قالت إنها تعاني من بعض المتاعب العائلة .. ومن هذه المتاعب مسئولية العناية بالصغيرة أن ..

ثم قالت أنها تلقت خطاباً من فيليب أخيها والد أن ..
قال مايكل :

- مسكين فيليب .. لاشك أنه يتألم كثيراً لما حدث لإيما التى يبدو أنها كانت زوجة مخلصه وأما رحيمه ..

كان يتوقع أن تلقى كات ببعض العبارات الجافة حتى تغلق الموضوع كعادتها عند الحديث عن إيما ..

ولكنها فى هذه المرة لم تفعل بل نظرت إليه بخبث وقالت :

- لم تكن مخلصه .. كان لها عشيق !!..

ارتعد مايكل وتوترت أعصابه فقال معترضاً :

- ولكن هذا غير صحيح !.

أخذت كات تتطلع إليه بخبث وقالت بلهجة عاتبة :

- ولماذا أدهشك ذلك ؟ ..

من الواضح انها لاحظت كثرة أسئلته عن إيما واعتقاده بأنها امرأة فاضلة وهذا مالا ترضاه كات لإيما او لأى امرأة أخرى ..وانتهزت هذه الفرصة للحط من قيمتها أمام مايكل ..

تمالك مايكل أعصابه وهز كتفها استخفافاً وقال :

- وكيف علمت بذلك ؟.

وعلى الفور عادت إلى تحفظها وجمودها وقالت :

- هي .. هي التى أخبرتنى بذلك ..

لاذ مايكل بالصمت وأدرك أن كات تكذب عليه مرة أخرى ..

راح يفكر فى الأمر .. أن إيما لم يكن لها عشيق .. إنه كان يحبها حباً شريفاً طاهراً ولم تتعد علاقتهما حدود الاحترام والتقدير ، ومن المستحيل أن تخبرها إيما بشئ من ذلك أبداً فقد كانت من النوع الذى لا يتحدث عن حياته العاطفية بهذه السهولة . .

.. قرر أن يواصل اللعبة فقال لها :

- وهل علمت من يكون عشيقها ؟.

قالت بجفاء :

- لا أعلم .. ومن الأفضل ألا تتحدث عنها بعد أن ماتت ، ولعلك أدركت الآن لماذا نحرص على إبعاد ابنتها عن بيتها ..

- أين ستقيم الطفلة بعد ذلك ؟..

- ستقيم معى ..

قال باشمئزاز :

- معك أنت ؟.

ويبدو أنها لاحظت نقوره منها فقالت :

- وماذا يضايقك فى هذا الأمر ؟ ..

فقال بلهجة مرحة :

- لا يمكننى أن أتخيلك فى دور مربية الأطفال الصارمة ..

نحح تماماً فى الإيحاء إليها بما يريد .. وفهمت هى أنه يراها امرأة
مرحة تحب اللهو ولا تطبق الحياة العائلية الرتيبة فقالت :

- لا تظن اننى هكذا دائماً يا عزيزى فلدى أيضاً .. بعض غرائز
الأمومة كغيرى من النساء ..

- حقاً ؟ ..

ثم ضحكا سوياً وقالت كات :

- سوف أرسلها إلى إحدى المدارس الداخلية حتى لا تضايقنى إلا
خلال الاجازة الصيفية فقط .. ان هذا أفضل الحلول ..

- وهذا سيتيح لك الاستمتاع ببضعة شهور أخرى ..

- نعم ..

فقال مايكل :

- وما رأى والد أن فى ذلك ؟ هل وافق ؟ ..

- أه .. نعم .. وافق وطلب منى أن أبحث عن منزل ..

شعرت كات بأن مايكل يسأل كثيراً هذه الليلة فقالت :

- لماذا تهتم بأمرها إلى هذا الحد .. اننى فعلت كل ذلك حتى أَرْضَى أخى فيليب فقط ، فقد أثارت الطفلة المتاعب لوالدتى ، وطلب فيليب أن تعيش ابنته مع سيدة صغيرة السن ولذلك قبلت مرغمة ..
- ومتى ترسلينها إلى المدرسة ؟.

- يوم الاثنين القادم ولكنى سأحضرها إلى لندن غداً حتى أرسلها إلى الطبيب لفحص أسنانها ..
فقال مايكل بخبث :

- ولماذا كل هذا الاهتمام بالطفلة ؟ إن هذا فوق طاقتك ..
- لقد أرسل إلى فيليب مبلغاً كبيراً من النقود من أجل العناية بآن فيجب أن أحقق رغباته .. هيا بنا نتناول العشاء ..
.. ثم وجدها تميل إلى التحفظ التام عند الحديث فى هذا الموضوع وقرر أن يتوقف عند هذا الحد ..

لا بد أن يتعامل معها بحذر شديد ويحاول إكتساب ثقتها مرة أخرى من خلال العشاء الفاخر والكلمات الجميلة والعبارات المعسولة ..

.. كان مضطراً إلى ذلك رغم أنه يمقتها بشدة ويمقت كل ما فيها صنوتها ملايسها حزكاتها ..

وعندما رأت مسز ديفا معها فى المطعم قالت لها فى اليوم التالى :

- اننى أهنتك على الإيقاع بهذا الرجل الوسيم .. يبدو أنه صار

خاتماً فى إصبعك ..

شعرت كات بالسعادة لهذه الكلمات ..

وفى اليوم التالى قال لها مايكل وهو يودعها أمام باب فندق
اركاديا :

– كات .. متى تذهب الصغيرة أن إلى طبيب الأسنان ؟.

قالت بدهشة :

ولماذا تسأل ؟ ..

وعلى الفور قال بخبث :

– أعتقد إنك فى هذا الوقت ستكونين حرة ويمكن أن نلتقى ..

– آه .. يالها من فكرة طيبة ..

واتفق معها على أن يتناولوا الغداء معا فى فندق سافوى فى الرابعة
بعد الظهر ..

★ ★ ★

الفصل التاسع

كان هدف مايكل من ذلك هو رؤية أن بمفردها بعيداً عن كات ..
وقد نجح في خداعها ولم يجعلها تشك لحظة في أنه يرغب في
تناول طعام الغداء معها والاستمتاع بصحبته لأطول وقت ممكن ،
وفي نفس الوقت كان ينوى التخلف عن هذا الموعد ولم يعتبر ذلك
خطأ يرتكبه فلم تكن كات امرأة شريفة حتى يحرص على
مشاعرها ..

جلس في بيته خلال هذه الفترة حتى سمع رنين جرس الباب ثم
أعقب ذلك صوت أن وهي تقول للوصيفة :

- طلبت منى عمتى أن أحضر إلى هنا لانتظارها عقب الانتهاء من
زيارة طبيب الأسنان ، وسوف تحضر لتأخذنى بعد ذلك ..

أسرع مايكل إلى غرفة الاستقبال وهو يشعر باللهفة للقاء الفتاة ..
قال لها .

- مرحباً بك يا أن ..

كانت ممتعة الوجه شديدة الحول ترتدى ثيابها المدرسية وقد

وضعت على ذراعها إشارة الحداد ..

وفى هذه اللحظة كانت تقلب فى حدى المجالات المصورة ، وعندما سمعت الصوت انتفضت ثم استدارت إلى الوراء ..

عندما رأت مايكل واقفاً أمامها تنفست الصعداء وقالت :

- أهذا أنت ؟ مرحباً بك ..

لاحظ مايكل علامات الشحوب والنحول على وجهها فقال لها برقة :

- هل شعرت بالألم عندما فحصك طبيب الأسنان ..

- كلا .. هل يضايقك أن أنتظر عمى كات هنا ؟ لقد طلبت منى ذلك ..

ابتسم مايكل وقال لها برقة :

- لقد كنت أنتظر حضورك .. تفضلى بالجلوس ..

هتف فى أعماقه : يا إلهى .. ماذا أصاب الطفلة المسكينة ؟ أنها تحولت إلى شبح هزيل ترى هل حدث كل هذا التحول بسبب وفاة أمها ؟

ولكن الأمر يبدو أكبر من ذلك .. أن الفتاة تبدو شديدة الخوف والتوتر كان هناك ماتخشاه .. أنها تتلفت حولها فى كل لحظة وتنظر بارتياح إلى كل شىء ..

وجد نفسه يقارن بينها وبين تلك الطفلة المتفتحة المنطلقة التي عرفها مع أمها منذ شهور قصيرة .. كان مقتنعاً أن كل هذا من صنع كات هوارد الشريرة ولا بد أن يضاف هذا إلى قائمة جرائمها .. سوف يكون حساباً عسيراً .. نعم .. سوف يأتي يوم الحساب قريباً ..

قال بلهجة مرحة :

- إننى سعيد بأن أراك مرة ثانية وأتحدث إليك ..

قالت بلهجة تفيض بالشك :

- نتحدث فى أى شىء ؟

- عنك .. ما رأيك فى قرار عممتك كات بإرسالك إلى مدرسة داخلية ؟

قالت بلهجة مقتضبة :

- لا أهتم بهذا الموضوع ..

قال لها ببساطة :

- هل تحبين عممتك كات ؟

احمر وجه الفتاة وقالت باضطراب :

- نعم ..

- هل أنت واثقة من ذلك ؟

- نعم ..

شعر بأنها مضطرة للكذب وأن هناك نضالاً شديداً يثور بنفسها
ويسبب لها هذا الشقاء فقال برقة :

– أن .. هل تثقين بى ؟.

تحاشت مواجهة نظراته وركزت أبصارها على الباب وكأنها تبغى
الفرار ثم قالت أخيراً :

– نعم ..

فقال ضاحكاً :

– ولكن ليس إلى حد كبير ..

– لماذا تلقى على كل هذه الأسئلة ؟.

– لأننى أحبك يا صغيرتى وأريد أن أساعدك ولن يمكننى ذلك
مادمت لا تثقين بى ..

زمت الفتاة شفيتها ثم قالت :

– قلت لك إننى أثق بك ..

ألزم نفسه بالصبر عليها وكان يعلم أنها تعرضت لظروف غير
طبيعية فقال لها :

– كنت تثقين فى كثيراً يا أن يوماً ما .. هل تذكرين ؟ كان أمراً
شديد الأهمية .

– وما هو ؟.

- حياتك يا أن .. هل تذكرت ؟..

. نظرت إليه الفتاة لأول مرة بعينيها الزرقاوين الصافيتين وعادت
الدماء إلى وجهها لأول مرة ثم غمغمت بصوت خافت :

- نعم ..

- أريد أن أعرف .. لماذا قلت أنه لم يكن هناك أحد مع أمك عندما
رأيتها لأول مرة ؟..

كانت مفاجأة قاسية أجفلت منها الفتاة وتجمدت ملامحها ..
وأخيراً قالت بتحد :

- قلت ذلك لأنها كانت وحدها ولم يكن معها أحد ..

- كلا .. ان ماقلته غير صحيح وأنا أعلم ذلك ..

ارتعدت الفتاة وتهدج صوتها وهي تقول :

- ماذا تريد ياسيدى .. إننى لا أعلم شيئاً ..

- لا داعى للخوف أيتها العزيزة .. إننى أريد فقط أن أساعدك ولن
يمكننى ذلك بدون معرفة الحقيقة .. كانت عمك تجلس مع والدتك ..
أليس كذلك ؟.

أخفت الفتاة وجهها فى المقعد وانفجرت باكية ثم قالت بضراعة :

- أرجوك أن تدعنى ياسيدى ..

انحنى فوقها مايكل وأخذ يربت عليها برقة وقال :

- كلا يا أن .. يجب أن تساعدينى .. أريد أن أعرف ماذا حدث
بينها وبين والدتك قبل أن يقع الحادث ..
صرخت الفتاة قائلة :

- كلا ياسيدى .. انه لم يكن حادثاً .. لقد بدا الأمر كما لو كنت
دفعتها بيدى ..
صاح مايكل :
- أنت ؟.

قالت وهى تنتحب باكية :
- كان ذلك نتيجة خطأى أنا ..
- أرجوك أن تهدئى وأن تذكرى لى التفاصيل بدقة ..
- نعم كنت أنا المخطئة وقفت ضد والدتي وأستحق ما يحدث لى .
أحاطها مايكل بذراعة وأجلسها فوق المقعد الوثير وقال لها :
- أريد أن أعرف ماذا فعلت يا أن . لابد أن تثقى بى وتخبرينى
بكل شئ ..

تعلقت به الفتاة وقالت :
- لا أستطيع .. لا أستطيع أبداً ..
كانت ترتجف من أعماقها وتخلت عن كل مظاهر العناد التى
احتمت بها فى البداية فقال لها :
- كلا .. يجب أن تخبرينى يا أن ..

- لا أستطيع ..لقد ظلت تضغط على حتى وعدتها بألا أقول أى شىء ، وهددتنى إذا قلت الحقيقة بأن يتم إرسالى إلى السجن ..
قال بغضب :

- من الذى قال ذلك ؟ هل هي عمك كات ؟..

أومات برأسها علامة الإيجاب فقال :

- إنها كاذبة يا أن .. ان كل ماقلته غير صحيح ..

- لىتنى لم أذهب إلي والدتى .. لو لم أفعل لما حدث شىء ..كان الأمر مجرد مزحة كما ذكرت العمة كات ولكننى صدقتها ووقفت ضد والدتى و ..

ثم انفجرت باكىة ..

قال لها مايكل :

- أن ..ما الذى حدث ؟ أرجو أن تخبرينى بكل شىء ..

فظهرت الحيرة فى عينيها ثم تنهدت بعمق وراحت تتطلع إلى مايكل .. شعرت بأن مقاومتها تضعف تدريجاً وأن هذا الرجل يحبها ويحاول مساعدتها وقررت أن تخفف من هذا الحمل الثقيل ..الذى يجثم على صدرها فقالت :

- فى هذه الليلة كنت ألعب فى حجرتي ثم ذهبت إلى حجرة والدتى لألقى عليها تحية المساء قبل أن أنام ، وقبل أن أدخل الحجرة

وجدت عمتى كات تخرج منها والغضب الشديد يبدو على وجهها
وقالت لى إنها سوف تنتظرنى لتقول لى شيئاً هاماً ..

وبعد أن ألقيت التحية على والدتى خرجت إلى عمتى التى أجلستنى
بجانبيها فقالت لى :- أن والدتك ووالدك سوف ينفصلان بالطلاق
وذلك بسبب خطأ والدتك .. أنها تحب رجلاً آخر وستهجرك إليه .

وأدرك مايكل الحقيقة الرهيبة وتخيل كات الشيطانة التى أخذت
تلقى بالأكاذيب فى أذن الطفلة المسكينة ، ولا شك فى أن إيما قد
شاهدتهما جالستين معاً ..

قالت أن :

- وقالت عمتى إننى سأشهد فى المحكمة عن سوء سلوك والدتى ،
وقالت عنها أشياء فظيعة ، وسمعت والدتى ذلك وطلبت منها أن تكف
عن هذه البذاءات ثم طلبت منى أن أذهب معها إلى حجرتها ولكننى
للأسف رفضت ولست أدري لماذا سلكت مثل هذا السلوك السيئ ..

وتخيل مايكل الصورة بوضوح ..

إيما غاضبة أشد الغضب لأول مرة وهى تطرد كات خارج منزلها
وتحاول إبعاد أن عن هذا الجو المشحون حتى لا تسمع الكلمات
البذيئة ، ولكن الطفلة كانت فزعة تشعر بالخوف لما سمعت ،
واستعادت فى ذهنها كلمات كات واتهامها لأمها وبدأت تصدق ..

استطرد أن قائلة .

- قالت عمى أشياء كثيرة عن والدتى التى بدت شديدة الغضب
وكنى أنا أرتعد لفرط الخوف والفرع فأمسكت بى عمى ، وعندما
رأت والدتى ذلك أسرعى إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها بعنف ولم
أرها بعد ذلك ..

كنى أنا المخطئة فى كل ذلك فقد صدقت إتهامات عمى لأمى ..

ثم انفجرت باكىة وشعر مايكل بأن قلبه يتمزق ..

أخيراً عرف الحقيقة وتعجب لسلوك هذه الشيطانة كات .. كان
يعرف أنها امرأة سيئة ولكن لم يتصور أن يصل بها الأمر إلى ذلك ..
من الواضح انها عرفت بطريقة ما أن إيما تلتقى بأحد الرجال
وفسرت الأمر على هواها وكما أوحى إليها نفسها الشريرة ، وقررت
انتهاز الفرصة للحصول على المال ..

نعم أنها لا تفكر إلا فى المال .. لاشك أنها ذهبت إلى إيما فى
حجرتها وطلبت منها بعض المال عن طريق التهديد ولكن إيما رفضت
وكان هذا سبب انصرافها غاضبة من الحجرة .. وهداها عقلها
الشيطانى إلى طريقة فعالة لتحطيم إيما ..

إن ابنتها هى السلاح الفعال الذى سيحطم مقاومتها بلاشك
ونجحت بخبثها تسميم أفكار الطفلة وجعلتها تكره أمها ..

يالها من شيطانة .. لقد نجحت فى قتل الحب والثقة بين الأم
والطفلة . وعندما رأت الأم هذا التحول الرهيب فى سلوك ابنتها

الحبيبية شعرت بأنها فقدتها إلى الأبد فدخلت إلى غرفتها وهي
محطمة القلب ..

سأل أن :

- ماذا حدث بعد ذلك ؟.

- كانت والدتي تقول ان عمتي أفسدت كل شئ .. ولكنه ذنبى
أنا و..

قاطعها قائلاً :

- أريد أن أعرف ما حدث ..

حاولت الفتاة قدر جهدها أن تتماسك ولكنها قبل أن تهم بالكلام
فتح الباب فجأة ودخلت كات إلى الحجرة ..

وعلى الفور نهضت أن من مقعدها واتجهت إلى ركن الغرفة
وكأنها تحاول الاختفاء ولكن كات لم تهتم بها وقالت لمايكل بغضب :

- ماذا حدث ولماذا تركتني انتظر كل هذا الوقت ؟.

من حسن حظه أنها كانت منفعلة ولم تر علامات الحقد الشديد
على وجهه ..

قال ببرود :

- اننى أسف لعدم الحضور ..

- أعلم انك لم تحضر وأريد أن أعرف السبب ..

- عطلنى العمل ..
- ولماذا لم تتصل بى تليفونيا ؟ لقد انتظرتك ساعة كاملة ..
- ازداد حنقها عندما رآته يحدق فيها ببرود ودلائل النفور تطل من عينيه فصاحت قائلة :
- ماذا تحسب نفسك ؟ إنها المرة الأولى التى أدفع فيها ثمن الشاى الذى أشربه ..
- لم يتمالك نفسه من الابتسام .. فهى فى هذا الموقف العصيب تشعر بالحزن على ما دفعته من نقود ثمناً لكوب الشاى ..
- مد يده وأخرج حافظة نقوده ثم أخرج منها ورقة مالية وقدمها إليها بطريقة مهينة وقال :
- أن الخسارة يمكن تعويضها ..
- ضاقت عيناها الخبيثتان وظن أنها ستصفعه على وجهه .. ولكنها توقفت عندما رأت وجهه المكفهر فصاحت غاضبة :
- هل الأمر كذلك .. حسناً ..
- ثم صرخت فى الفتاة بحنق :
- هيا بنا ..
- ودفعت الطفلة فى ظهرها بقوة ..

★ ★ ★

الفصل العاشر

شعر مايكل بالألم الشديد بعد أن عرف تفاصيل وفاة حبيبته إيما وكان يظن أنه سوف يستريح وتهدأ نفسه ..

فى كل لحظة كان يتذكر وجه إيما ويتخيلها وهى فى لحظاتها الأخيرة بعد أن حطمتها كات وجعلت أن المسكينة تنقلب عليها ..
ثم تذكر أن .. إنها طفلة مسكينة للغاية وقعت فى براثن كات الملعونة ..

راح يقارن بين الطفلة البريئة الوديدة التى عرفها فى المستشفى وبين هذه الأخرى المذعورة العنيدة .. التى تتلفت حولها فى رعب وفزع ولا تثق بأحد ..

كل هذا بسبب كات هوارد ..

ماتت إيما وسوف تلحق بها أن بلا شك إذا لم يبادر بإنقاذها ..
إنها طفلة مسكينة لا أحد يحميها وأقل ما يمكن أن يصيبها هو
الأنهيار العصبى والجنون ..

أما كات فإنها تعيش فى سعادة ولا تشعر بما جنت يداها ولا تمر
بها لحظة واحدة من الخوف أو الندم ..

بل على العكس فقد ربحت الكثير من هذه الكارثة التي وقعت لإيما
فقد خصص لها شقيقها - زوج إيما - مرتباً شهرياً ضخماً للإنفاق
على الطفلة ، وبالطبع كانت كات تستولى عليه بحجة أنها (تريد أن
تعيش) ..

تريد أن تعيش بعد أن قضت على إيما ودمرت حياة ابنتها أن ..
جلس إلى البيانو وحاول أن يعزف أى لحن ينسيه آلامه الرهيبة ..
ولكن دون جدوى فقد تواصلت الآلام بلا انقطاع ..
وسيطرت عليه فكرة رهيبة بفعل الغضب والحقد المرير على هذه
المرأة ..

فكر فى قتل كات هوارد ..

لقد تأكد من جرمها .. ففى البداية سممت أفكار الطفلة أن
وأبعدتها عنه ثم جعلتها تفقد كل أمل فى الحياة وتفقد عقلها فى
لحظة مستخدمة فى ذلك سلاح المكر والغدر والخديعة ..

إنها هى التى قتلت إيما حتى ولم تدفعها بيديها من النافذة ..

وربما كانت هى أيضاً التى دفعتها فإنه لا يدري ، ولكن النتيجة
واحدة فقد قتلت إيما بواسطة كات هوارد بلا شك .. إنه لم يعد بحاجة
إلى المزيد من التفاصيل .. فقد أصدر حكمه النهائى .. كان حكماً
بالقتل ..

إن ما يبقى على حياة كات حتى الآن هو وجودها بعيدة عنه ، فلو

أنها اقتربت منه لما استطاع أن يحول بين يديه وبين عنقها ..
.. لا بد أن يذيقها ألواناً من العذاب والألم جزاءً لما اقترفته يداها ..
حاول أن يطرد عنه هذه الفكرة الرهيبة ولكن دون جدوى ..
كان وجهها يلوح له على سطح البيانو اللامع وهو ينظر إليه
بسخرية مريرة .. وتمنى أن تبعتها الأقدار عنه حتى لا يلوث يديه
بدمها القذر ..
نعم .. يجب أن يبتعد عنها حتى ينسى فكرة الانتقام ويتذكر
حبيبته الرقيقة إيما ..



سمع رنين الجرس يدوى فى أرجاء المنزل بينما كان يعزف على
البيانو ..
توقف عن العزف وتساءل .. أين الخدم ؟ ثم أدرك أنهم الآن فى
قراشهم فالوقت متأخر للغاية ..
شعر بالقلق وهو يستمع إلى رنين جرس الباب الخارجى ، وأدرك
بغريزته أن هناك شيئاً ما قد حدث .. ترى ما هو ؟
ربما كان هناك مريض فى حالة خطرة ويحتاج إلى الطبيب بصورة
عاجلة .. أسرع إلى الباب وفتحه ..
كانت دهشته عظيمة عندما رأى كات تقف أمامه .. أنها هى كات

التي تمنى ألا يراه قبل إنقضاء وقت طويل ..
وبدون وعى سد الباب أمامها فقالت له وهي تلهث :
- مايكل .. دعني أدخل .. أريد أن أتحدث إليك ..
قال ببرود :
- ولكن الوقت متأخر ، فلنرجئ هذا الحديث إلى الغد ..
- كلا .. ان الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً ..
- حسناً .. ماذا تريدان ؟
- هل نقف هنا ونتحدث ؟
ثم دخلت إلى الردهة وأخذت ترتقى الدرج فيما تتبعها هو وتركزت
نظراته على عنقها الناصع البياض ..
شعر بطرقات رهيبة تدوى فى رأسه وتكاد تصم أذنيه .. هيا
اقتلها .. هيا انتقم لحبيبك إيما ..
بذل جهداً جباراً حتى إلصق بسيجـال الدرج وأمسك به بقوة وهو
يرتجف .. كان يرتجف من الانفعال ..
كانت تخلع معطفها عندما دخل عليها غرفة الاستقبال ..
نظرت إليه بضراعة وقالت :
- أرجو أن تسامحني لما بدر مني اليوم .. لقد كنت حمقاء ، ولا شك
انك كنت مشغولاً فى العمل ولم يكن باستطاعتك أن تحضر ..

وعلى عكس ما توقعت قال لها مايكل بخشونة .
- ها، جئت فى هذه الساعة لتقولى ذلك ؟ . حسناً لقد سمعت
يمكنك الان الانصراف ..
قالت لنفسها ماذا حدث له ؟ يبدو أن هناك شيئاً يؤله ..
وعلى العكس من أى امرأة شريفة كريمة الخلق فقد صممت كات
على أن تستعيده مرة أخرى وتسيطر عليه كما كانت تتخيل ..
قالت بصوت ناعم :
- من الواضح أنك مازلت غاضباً منى .. أرجو أن تنسى ذلك
ولنعد أصدقاء كما كنا .. ثم مدت إليه يدها ..
ولكنه تحول عنها وأعطاهما ظهره ..
ورغم كل هذه الإهانات المتلاحقة لم تستسلم للفشل ، ولكنها قبل
أن تنطق قال هو :
- كات .. أننى لا أريد أن أراك بعد ذلك أبداً
ولكنها تسمرت فى مكانها .. كان يريد أن تنصرف بسرعة قبل
أن تثور شياطين غضبه وينفذ فيها الحكم .. حكم الموت ..
قالت له معاتبة
- ماذا حدث يا مايكل حتى تفعل ذلك ؟ إنه أمر تافه حقاً ..
لم ينظر إليها وكان واثقاً أنها تحاول تمثيل دورها ببراعة ..

قال بلهجة جافة :

- ليس من أجل ما حدث اليوم .

- ولماذا تعاقبنا سوياً من أجل أشياء تافهة ..

قال بحدة :

- انك لا تفهمين شيئاً .. هل ترين اننى أعاقب نفسي أيضاً بالامتناع عن رؤيتك ؟

ولأول مرة تشعر بالقلق والرعب .. كان ينظر إليها نظرات ملتهبة جعلت جسدها كله يرتعد .. بدأ مايكل وكأنه على وشك ارتكاب جريمة فجسده يرتعد ووجهه صارم شديد الشحوب .. ماذا حدث له ؟

وأخيراً ظنت أنها عرفت الحقيقة فقالت :

- هل تريد أن تقطع علاقتك بي لأنك متزوج ؟

كاد ينفجر ضاحكاً فقد أدرك مدى غباؤها وقصر نظرها ..

استطردت قائلة :

- لا تضع مثل هذه الاعتبارات فى ذهنك يا مايكل فإننى لا أبالى بها أبداً .. لا يهمنى ما يقوله الناس أو يظنونونه .. ثم اقتربت منه حتى التصقت به ..

وبمجرد أن لمستته تصلب جسده واستدار لها على الفور .. كانت

يدأها فوق سترته فهمست قائلة :

- ما يكل .. إن كل ما أريده هو أن أظل معك مهما حدث ..

أخذ يتفرس فى ملامحها فوجد لها تدعوه إليها بصراحة وقحة لم يتعودها ..

شعر بالنفور والاشمئزاز منها ..

ولكنه تمالك نفسه وقال :

- هل حقاً تريد ذلك ؟

همست فى حرارة :

- نعم .. أريدك دائماً ..

وانبثقت فى ذهنه فكرة مروعة .. سوف ينتقم منها انتقاماً رهيباً
ولكن ليس الآن .. لقد قدمت له فرصة رائعة للانتقام ..

تمالك أعصابه وقال برقة :

- حسناً يا كات .. سوف أنفذ لك رغبتك ..

دهشت كات لهذه الرقة التى لم تعهد لها فيه من قبل فانحنى عليه
تقبله بقوة واضطر لأن يقبلها بدوره ..

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

تملكت فكرة الانتقام من عقله وبدأ يعد الخطة المناسبة لذلك ..
استخدم كل ذكائه وقدراته فى وضع أدق تفاصيل خطته ..
أعلن للجميع أنه سيرحل لقضاء أجازة قصيرة واتفق مع مساعده
أن يقوم بكل أعماله خلال فترة الاجازة ..
عندما أخبر كات بأنه سوف يرحل معها بعيداً رحبت بالاقترح
وبدت فى غاية السعادة .. كانت تتفجر بالحياة والحيوية وهى مقبلة
على هذه المغامرة الغامضة مع مايكل .. فهناك شىء ما يثير الانفعال
فى هذا الرجل .. شىء غامض .. وكانت هى تعشق الغموض ..
خلال الساعات التى كانت تقضيها معه لاحظت كثرة شروده
ووجومه وقررت أن تعرف الحقيقة ..
ومن ناحيته فلم يكن مايكل يشعر بها أبداً أو يحس بوجودها ..
حتى شعوره بالضيق والغضب منها بدأ يهدأ الآن .. كان كل
تفكيره منحصراً فى تنفيذ خطة الانتقام ..
ذهب إلى المستشفى للمرة الأخيرة قبل الرحيل وحمل معه أدواته
الطبية ومعدات الجراحة ..

صافح الأطباء والعاملين بالمستشفى الذين تمنوا له رحلة سعيدة ..
كان أمامه عمل واحد صغير قبل أن يبدأ الرحلة مع كات هوارد ..

★ ★ ★

أخذ صوت المحاضر الشاب يخفت تدريجياً وهو ينظر إلى
ساعته ..

توقف قليلاً وأخذ ينظر إلى الطلبة الذين جلسوا في سكون تام
وكان على رؤوسهم الطير خلال المحاضرة الطويلة الممتعة ..

قالت الفتاة التي دخلت محاضراته بالصدفة : (ياله من محاضر
رائع خبير في خفايا النفس البشرية .. إنه يحلل نفسية أبطال قصته
تحليلاً رائعاً وكأنه يعرف كلا منهم معرفة دقيقة) ..

وبعد قليل استطرد المحاضر :

- كان هذا العمل ذا طبيعة علمية دراسية .. كان يقوم به ولكن
عقله راح يستعرض كل تفاصيل الخطة التي أعدها .. والجرائم التي
ارتكبتها كات هوارد .. ثم توقف قليلاً ..

فقالت الفتاة لنفسها :

- لماذا لم يعد يتحدث بطلاقة كما كان يفعل في البداية ؟ ترى هل
أصابه الملل بعد هذا الحديث الطويل ؟

واصل المحاضر حديثه قائلاً :

- خلال هذا العمل اكتشف أن خطته محكمة للغاية لا توجد فيها
ثغرة واحدة .. وألتقى بكات فى المكان الذى حدده لها من قبل ..
انطلقت بهما السيارة خلال الظلام الذى خيم على مدينة لندن فى
طريقها إلى الريف .. وخلال الرحلة ظل مايكل صامتاً ..
أما كات فلم تتوقف لحظة واحدة عن الثرثرة وهى فى غاية المرح
والسعادة .. لم تعرف كات وجهتها لأن الظلام كان كثيفاً ، ولكنها
صعقت عندما وجدت مايكل يتوقف أمام منزل إيما رايت !!
قال لها مايكل بهدوء :

- لقد سمعت أن هذا المنزل معروض للبيع وأريد أن أراه ..
هزت رأسها موافقة دون أن تنطق بكلمة ..
اختار لتنفيذ خطته يوم الجمعة حيث يكون كلاً البستاني فى
زيارته الأسبوعية المعتادة لأخته .. تظاهر بأنه يضغط الجرس ولما لم
يجد إجابة دخل من خلال النافذة التى حطمها من قبل ..
وتبعته كات مرغمة حتى وصلا إلى الطابق العلوى ..
دخل إلى حجرة إيما ومعه كات ..
إتجه مباشرة إلى النافذة وجذب الستائر بقوة ثم فتحها على
مصراعها ..

ثم قال لها بهدوء تام :

- أنا الرجل الذى كانت تحبه إيما .. وأنت التى قتلتها .. إننى واثق من ذلك .. شعرت بالخوف الرهيب يشل جسدها .. حاولت الفرار دون جدوى ..

قال لها بصوت جامد :

- سوف تموتين بنفس الطريقة التى ماتت بها إيما .. هيا ألقى بنفسك من النافذة .. ولكنها تجمدت فى مكانها وشلت حركتها تماماً ..

ثم بدأت تحاول المقاومة ..

انطلقت صرخاتها عالياً مستغيثة .. ولكن دون جدوى فقد كانت المنطقة خالية تماماً إلا من الأشجار والحقول ..

ثم سقطت من النافذة كما سقطت إيما فوق الفناء الصخرى .. وأصبحت جثة هامة ولقيت جزاءها العادل ..

ولا يجادل أحد فى أنها لقيت الجزاء الذى تستحق ..

وبدا الأعياء على وجه الحاضر وهو يختتم محاضرتة فقال :

- وهكذا ذكرت لكم أدق تفاصيل هذه الجريمة التى ارتكبها شخص يتمتع بعقلية سليمة وقام بتنفيذها بطريقة بارعة للغاية ولم يدع فيها ثغرة واحدة ..

نظر إلى ساعته وقال :

- أسف للإطالة عليكم .. لقد خصصت هذه المحاضرة لسرد تفاصيل الجريمة ، أما المحاضرة القادمة فسوف نخصصها للمناقشة العامة ..

ثم تناول قدحاً من الماء ..

كان الطلبة يجمعون أوراقهم ومذكراتهم ويتأهبون لمغادرة القاعة عندما سمع الجميع صوت أحد الطلبة كان يجلس فى مؤخرة القاعة وهو يقول :

- سيدى .. هل يمكننى أن أوجه إليك سؤالاً واحداً فقط ؟

كان المحاضر على وشك مغادرة القاعة وهو يشعر بالارهاق الشديد ولم يكن قد انتهى من شرب قدح الماء ..

عاد إلى وسط المنصة وهو يحمل الماء فى يده ..

ونظر الجميع إلى هذا الطالب الجريء وهم يرتقبون سؤاله ..

قال المحاضر :

- يمكنك أن تسأل الآن ..

قال الطالب :

- من المؤكد أن الشكوك لم تحم حول القاتل أبداً ؟

قال المحاضر :

- كلا بالطبع .. فلم تكن هناك أية أدلة على وقوع جريمة قتل

ولذلك اعتبر الحادث انتحاراً ..

قال الطالب :

– عفواً يا سيدى .. هل يمكننى توجيه سؤال آخر ؟

– نعم ..

قال الطالب بخبث :

– ولكنه بلا شك – مثل الكثيرين غيره من المصابين بمرض جنون

العظمة – لابد أنه أخبر أحد بجريمته على سبيل التفاخر مثلاً ..

أخذ المحاضر بالسؤال ..

قطب جبينه ثم قال بحدة :

– اننى لم أفهم سؤالك جيداً ..

فقال الطالب :

– هل هو الذى أخبرك بخطته ؟

ابتسم المحاضر ابتسامة خبيثة وقال :

– نعم .. فقد كان يعالج بالمستشفى لدى ..

– كان مريضاً عقلياً ؟

فقال على الفور :

– كلا .. كان سليم العقل تماماً كما ذكرت لكم فى البداية .. سليم

العقل مثل .. مثلى أنا ..

وشعر الطالب بالارتباك وبأنه تجاوز الحد مع المحاضر فقال له :

- أرجو ألا أكون قد ضايقتك بسؤالى يا سيدى ..

فقال المحاضر بهدوء :

- كلا بالطبع .. كان سؤالاً جيداً ..

أما المحاضر فقد جمع أشياءه بسرعة وأسرع إلى سيارته التي
كانت تقف فى فناء الكلية .. فالوقت أمامه قصير للغاية ..

كان المحاضر هو نفسه مايكل جويس ..

ولم تنته قصته بعد !

★ ★ ★

الفصل الثانى عشر

وقف مايكل جويس بسيارته بالقرب من فندق اركاديا وهو فى انتظار كات ..

قال لنفسه : لاشك أنها ستتأخر عن موعدها كالمعتاد فهى تتصور أن ذلك يرفع قدرها فى أعين الرجال ..

كان قد أعد خطته بإحكام وحسب حساب هذا التأخير ..

وحضرت كات بعد تأخير عشرين دقيقة .. كان مايكل قد استعرض تفاصيل خطته مرة أخرى وتأكد أنه لم يترك شيئاً للظروف ..

قالت كات وهى تبتسم بدلال :

– هل تأخرت عليك كثيراً ؟

لم يحاول الرد عليها بل فتح باب السيارة ووضع حقيبتها فى الخلف ثم عاد إليها وجلس إلى عجلة القيادة ..

انطلق بسرعة وظل يراقب كات بطرف عينه ..

كانت تضع حول رأسها كوفيه حريرية لحماية شعرها كما كان

الطلاء يغطي وجهها كله .. شعر بالاشمئزاز من هذه المرأة التى
تقضى الساعات الطوال فى التجميل والتأنق .. تأمل ثيابها .. كانت
ترتدى معطفاً من الفراء الثمين فوق فستان أنيق ، كما كانت تتعطر
بعطر ثقیل جعله يشعر بالاشمئزاز ..

قالت بدلال :

– لم أحاول أن أسألك إلى أين سنذهب ، ولكننى أشعر بالراحة فى
كل مكان توجد فيه ..

– نعم .. سوف تشعرين بالراحة .. إننى واثق من ذلك ..
صفقت بيديها سروراً وقالت :

– يبدو أنك قد أعددت مفاجأة لن تخطر ببالى ؟

وراحت تتطلع إلى الشوارع المزدهمة والمحلات الأنيقة وهى تتخيل
الفندق الذى ستنزل به والمنطقة التى ستقضى فيها اجازتها مع
مايكل ..

كانت تتمنى أن تنزل بفندق حديث فإنها تنفر من الفنادق الريفية ..
لقد كان يصحبها دائماً إلى المطاعم الفاخرة والفنادق الغالية .. فهل
يفعل ذلك أيضاً خلال الإجازة أم يفعل كغيره من العشاق يذهب إلى
فندق ريفى ..

لقد مرت بها تجارب كثيرة مشابهة من قبل ..

انتبه مايكل على صوتها وهى تصرخ قائلة :

– ماذا فعلت ؟ لقد عبرت بينما كانت الإشارة حمراء ..

قال بلا اكتراث :

– أحقاً ؟ كان ينطلق بأقصى سرعة ولكنها المرة الأولى التي يكسر فيها الإشارة ..

أخذت كسات تراقبه فى عجب ، وتتساءل : ترى ماذا أصابه ؟ أنه يبدو شديد الغموض ووجهه صارم للغاية ..

وكعادتها شعرت بالإثارة أمام هذا الرجل الغامض فاقتربت منه ولمست ذراعه ولكنه تجاهلها واندفع فى طريقه عبر الحقول المترامية ..

أخذت تتحدث بمرح فى كثير من الموضوعات ومايكل يرد عليها بإجابات مقتضبة أو يتجاهل الرد حتى سألته :

– إلى أين ذهبت هذا المساء ؟

– كنت ألقى محاضرة فى علم النفس الجنائى ..

– وماذا قلت لهم ؟

قال ببطء :

– حدثتهم بقصة رجل قتل امرأة بغرض الانتقام منها ..

– يبدو أن هذا الرجل كان مجنوناً ؟

– كلا .. لقد كان بكامل قواه العقلية .

- لا يمكن أن يقدم الإنسان على القتل وهو بكامل قواه العقلية ،
ولا بد أن يكون لديه انحراف من أى نوع مهما بدا فى صورة طبيعية
أمام الآخرين .. على سبيل المثال انظر إلى إيما

صرخ مايكل :

- نعم .. إيما زوجة أخى فيليب ..

شعر بالتوتر بمجرد أن سمع اسم إيما الحبيبة ولكنه تمالك أعصابه
بسرعة وقال بصوت هادئ :

- وما علاقة إيما بموضوعنا ؟

- لقد أقدمت على الانتحار رغم إنها كانت تبدو للجميع سليمة
العقل لا تعاني من أى خلل أو نقص ، ولا شك انها تعرضت لأزمة
ما ..

فقال بهدوء :

- ولماذا تقولين أنها انتحرت ؟ أليس الأمر مجرد حادث عارض ..

- كلا .. لقد انتحرت و..

ولكنها توقفت عن الحديث وبدأت على وجهها علامات الازدراء ..

ثم قالت برقة :

- فلنتحدث فى شىء آخر ..

ولكنها شهقت فجأة فسألها :

- ماذا بك ؟

- هل هذا هو المعبد الذى يوجد بجوار منزلها ؟

قال بهدوء :

- نعم .. وسوف نذهب إلى هناك الآن ..

ارتعد جسدها وصرخت :

- ماذا تقول ؟ هل نذهب إلى منزل إيما ؟ لماذا نفعل ذلك ؟

قال وهو ينظر إلى الطريق :

- علمت أن المنزل معروض للبيع .. أليس كذلك ؟

- نعم ..

- اننى أفكر فى شراء منزل ريفى ..

فقالت بحدة :

- كلا يا مايكل .. إنه لا يصلح أبداً .. ألا ترى المكان الكريه الذى

يوجد فيه ؟ وهناك تلك الأنغام البشعة التى تنبعث من المعبد ..

وتعجب مايكل .. فإن الأنغام التى كانت تسعد إيما تخيف كات ..

قالت بصوت ناعم :

- ولماذا تبحث عن منزل ريفى ؟

- اننى أميل إلى الهدوء بطبعى ..

- ولكنه وقت غير مناسب أبداً لزيارة المنزل .. يبدو أنك جننت ..

لم تكن خائفة وكان الأمر بالنسبة لها مجرد نزوة انتابت هذا الرجل الوسيم الذى تعلق بها وكان عليها أن تسجيب له ..

توقف بالسيارة فى الممر المؤدى إلى المنزل وأطفأ الأنوار ثم فتح لها الباب وقال :

- هيا ..

ولكنها لم تغادر السيارة وكان لا يريد أن تبدأ المعركة الآن فقال لها برقة :

- تعالى معى لأريك شيئاً معيناً .. لن يستغرق الأمر أكثر من دقائق .

سارت خلفه إلى المنزل .. حاول أن يفتح بعض النوافذ دون جدوى وأخيراً وصل إلى النافذة التى كسرها ففتحتها وطلب من كات أن تدخل منها ..

قالت ضاحكة :

- يالك من إنسان غريب الأطوار .. يبدو أن موضوع الجريمة قد استحوذ على عقلك .. ثم صعدت إلى النافذة وتبعها خلال الظلام داخل الردهة ..

كان المنزل شديد البرودة .. وكأنها برودة الموت ..

قالت :

- انتظر لحظة حتى أضئ الأنوار ..

ولكنه ٩ تف قائلاً :

- كلا .. أرجو أن نقوم بمغامرتنا فى الظلام حتى لا نفسد روعتها ..

قالت وهى تبستم :

- يبدو انك تريد القيام بمغامرة غرامية ..

- وهل يضايك ذلك ؟

- كلا بالطبع .

وأطلقت ضحكة ماجنة ثم قالت :

- أتنى أعرف الطريق جيداً خلال الظلام .. فألى أين تريد الذهاب ؟

- أريد الصعود إلى الطابق العلوى ..

ثم أشعل عود ثقاب وكانت هى تتقدمه فصعدت الدرج وقالت :

- لست أفهم كيف خطر ببالك السكن فى هذا المنزل المقبض الكئيب

.. إننى أكرهه حتى الموت ..

وببراعة وذكاء تمكن مايكل من المرور بكافة الغرف حتى وصل أخيراً إلى غرفة إيما فاستدرج كات فى الحديث ولم تشعر إلا وهى بداخلها ..

أسرع مايكل بإغلاق الباب خلفهما ثم جذب الستائر وفتح النافذة على مصراعها فغمر ضوء القمر الغرفة وقال :

- هذه غرفة إيما !.

قالت ببرود :

- نعم ..

ثم قالت بانفعال :

- ولكن كيف عرفت ؟ ..

- لأننى جئت إلى هنا من قبل ..

كانت كات تقف فى الركن البعيد عن النافذة وقد بدأت تشعر بالقلق .

قالت متعجبة :

- أليس غريباً أن تدعوها إيما هكذا ؟ ..

- كلا .. فقد كنت أدعوها هكذا دائماً ..

ثم اقترب منها حتى وقف أمامها تماماً وقال :

- كيف عرفت أن لإيما عشيقاً ؟.

شعرت كات بالضيق الشديد .. إنه ليس وقت الحديث فى هذا الموضوع الذى تمقته .. قالت :

- لقد فاجأتها يوماً وهى تتحدث إليه فى التليفون ورفعت سماعة التليفون الآخر لاسترق السمع ..

شعر بالاحتقار الشديد لها وقال :

- وهل عرفتیه من صوته ؟..

هزت كتفیها وقالت :

- كلا ..

فنظر إليها نظرة عميقة وقال لها :

- ولكنك الآن تعرفین عشیق إیما وتنظرین إلیه بعینیک ..

.. أطل الرعب من عینیها وهی تحملق فیه وغاز الدم من وجهها
وفتحت فمها وأخيراً قالت :

- أنت ؟.

كان مايكل يشعر بالمتعة والسعادة وهو ينقذ خطته بنفس
التفاصيل التي وضعها .. وكما توقع فقد هزت المفاجأة كيانه وتوتر
جسدها وارتعشت أطرافها وراحت تنظر إلیه لخوف ورعب ..
استطرد قائلاً :

- لقد كنت غبية لأنك تصورت أن هذا الحبيب قد صدق قصتك
المزعومة عن موت إیما ولم يحاول أن يتحرى الأمر ويعرف الحقيقة ..
ثم قال بصوت رهيب :

- لقد اكتشفت أنك غبية مثلما أنت فاجرة قذرة ..

ظلت تحديق فيه وهی لاتفهم شيئاً .. ثم شعرت بالرعب والذهول

لهذا الانقلاب الرهيب الذي حدث له ..

كانت تتوقع ليلة سعيدة تبدأ فيها رحلة ممتعة مع عشيقها
الوسيم ولكن الآن تحول تحولاً مخيفاً ..

أخذت تراقبه وهو يغلق باب الحجرة بالمفتاح ثم ينتزعه ورأت على
وجهه علامات الحقد المروع والغضب الوحشي وأدركت مدى
الخطورة التي تتعرض لها فاستيقظت حواسها وأهابت بها عزيزة
حب البقاء أن تهرب ..

أسرعت إليه وحاولت اختطاف المفتاح من يده وهو يهم بوضعه في
جيبه ولكنه تراجع إلى الخلف بسرعة ، ولكن المفتاح سقط من يده ،
وعلى الفور ألقت كات بجسدها عليه بينما كان .. يقهقه ضاحكاً ..
نهضت كات وهي تمسك المفتاح بيدها فقال لها :

- ولماذا تفعلين ذلك ؟ ..

- لأننى لا أريد البقاء فى حجرة مغلقة وحدى مع شخص
مجنون ..

- بإمكانك إنتزاع المفتاح منك بالقوة إذا شئت ..

شعرت ببعض الاطمئنان عندما رآته يبتسم ابتسامته المعهودة
.. لاشك أنه يمزح معها وأنه جاء بها إلى هذا المنزل ليقضى معها
أوقاتاً سعيدة .. لا يمكن أن يتحول مايكل الرقيق الوسيم إلى وحش
ضار كما بدا لها منذ قليل ..

وقف مايكل فى هدوء أمام النافذة يتأمل منظر الحقول المترامية ،
ثم وقع بصره على المعبد الصغير فى الناحية الأخرى .. واستقرت
نظراته أخيراً على الفناء الحجرى أسفل النافذة حيث سقطت .. إيما
الحبيبة ..

^٣ إنتابه هذا الشعور الرهيب .. دوار شديد .. طنين فى أذنيه .. كل
شئ حوله يدور بسرعة ولكنه تمالك نفسه خلال ثوان معدودة عندما
أدرك أن القاتلة مازالت خلفه .. فى حجرة إيما .. قال بلهجة أمرة :
- تعالى إلى هنا ..

وبلا وعى انساقت إليه وكأنها تنساق وراء قوة لا تستطيع لها
دفعاً ..وقفت أمام النافذة فقال لها مايكل وهو يشير إلى البقعة
الحجرية :

- سقطت إيما هنا .. أليس كذلك ؟ ..

قالت بصوت مرتعش :

- لا أعرف ياسيدى ..اننى لم أكن بالمنزل وقتها ..

قال لها بحدة :

- حتى ولو كنت غادرت المنزل فما فعلته بها يساوى الدفع باليد
تماماً .

كانت عيناه تقدحان شرراً فشعرت كات بالفزع مرة أخرى ثم

أسرعت إلى الباب تبتغي الفرار ولكن مايكل لحق بها بسرعة وقال لها :

- إلى أين تذهبين ؟

- أريد أن أعود إلى لندن ..

قبض على كتفها بأصابع كالفولاذ .. وقال :

- هل تعلمين ما الذى سوف أفعله بك الآن يا كات ؟ ..

- إذا لم تتركنى فسوف أصرخ بكل قوتى ..

قال مايكل ساخراً :

- هيا اسمعيني صراخك .. مهما فعلت فلن يسمعك أحد ..

- ان البستانى هنا سوف يسمعنى ..

قال لها وهو مازال يقبض على كتفها بعنف :

- هيا .. لماذا لم تصرخي ؟

- لا أريد أن أسبب لك فضيحة ..

تمنت أن يستجيب لتوسلاتها وأن يعود إلى طبيعته الودية ، ولكن ملامحه ظلت جامدة كالصخر .. قال لها :

- اليوم هو الجمعة وكلاى البستانى ذهب لزيارة أخته ..

فشعرت كأنها على وشك السقوط ، ولكن الفزع أمدّها بقوة طارئة

فقالت له :

- دعنى .. دعنى أذهب ..

ولكنه لم يحفل بها واستطرد قائلاً :

- لقد أخبرنى كلاكى بنفسه بهذا الأمر ولذلك تعمدت الحضور إلى هنا يوم الجمعة بصحبتك ..

أدركت كات أنها وقعت فى شرك لافكاك منه ، وأن مايكل أحكم التدبير والتخطيط للانفراد بها ولم تعد تشك فى نواياه تجاهها ..
تملكها الفزع .. وبدأت تفكر فى الهرب بجنون .. لا بد أن تهرب .
أخذت تلهث بسرعة وهى تعصر ذهنها ..

كان السكون شديداً ولكنها سمعت صوتاً يأتى من مكان بعيد..
إنه صوت عزف موسيقى .. صوت الموسيقى المنبعث من المعبد
والذى كرهته من قبل ، ولكنها الآن تحبه ..

تملصت من قبضة مايكل بقوة واتجهت إلى النافذة وقالت :

- هل رأيت .. أن كلاكى مازال هنا .. إنه لم يذهب لزيارة أخته إلا
تسمع صوت عزفه على الأرغن فى المعبد ..
وبالفعل سمع مايكل صوت أنغام الأرغن ..
أدرك أنها على حق وأن كلاكى مازال هنا ..

قالت كات :

- هل رأيت .. أنه مازال هنا فلا أحد يستطيع العزف على الأرغن
فى الظلام سواء ولاشك أنه قادم الآن إلى هنا بعد أن ينتهى من
العزف ..

أسرع إليها وأمسكها من الخلف بقوة وقال :

- لن يعود كلاكى بسرعة كما تتخيلين ..

حاولت كات التملص منه وهى تنشب أظافرها فى يديه وتقول :

- ماذا تقول ؟ لاشك أنك جنتت ..

ولكنه تجاهلها وقال :

- لقد ذكرت لهم كيف أحضرتك إلى منزل إيمان ، وكيف جعلتك
تفعلين ما فعلت بها .. نعم قلت لهم إنك مت بنفس الطريقة التى ماتت
بها إيمان ..

أخذت تركله بقدميها وتصرخ :

- دعنى أذهب .. دعنى أذهب ..

ولكنه قبض عليها بقوة رهيبة وصرخ بصوت كالرعد :

- تخيلى نفسك فى موقف إيمان بعد أن أفسدت حياتها وسممت
أفكار ابنتها الحبيبة .. تخيلى ذلك ولو للحظة واحدة ..

كأنت كات ترتعد من الخوف ..

ولدهشتها وجدت أن أنغام الأرغن توقفت فروادها الأمل فى النجاة

وقالت :

- لقد انتهى كلاً من العزف على الأرغن وسوف يعود حالاً ..

فقال مايكل بهدوء :

- كلا .. لن يعود قبل أن انتهى منك .. نعم ستموتين قبل عودته ..

ولكنها نجحت فى التملص من قبضته ثم اتجهت إلى النافذة وأطلقت صيحة استغاثة فاندفع إليها بسرعة وقبض عليها بإحدى يديه وباليدين الأخرى كمن فمها ..

نجحت فى الهرب منه للمرة الثانية بعد أن تركت معطفها فى يده واتجهت نحو الباب وقبل أن تفتحه انقض عليها مايكل بقوة ..

أخذت تعدو فى الحجرة وتحاول الهرب منه كالحيوان الذى وقع فى الشرك .. لم يتوقع أن يجد منها هذه المقاومة .. لقد ذكر للطلبة أنها ألقت بنفسها من النافذة بهدوء .. قالت له :

- إنك إنسان مجنون شديد الخطورة ولن تغفلت من العقاب ..

تمزق ثوبها فى يده وهى تقاوم وتبعثرت خصلات شعرها ..

أخذت تصرخ بفزع :

- إننى بريئة من قتل إيما صدقنى .. لقد كذبت عليك أن .. إنها هى

السبب فى كل ما حدث .. صدقنى .. كانت مجنونة كأماها إيما ..

لست أنا التى فعلت ذلك .. إننى لم أسىء إلى إيما قط ..

ثم راحت تتضرع إليه :

- لا تقتلنى يا مايكل .. أرجوك امنحنى الفرصة للحياة ..

ونجحت فى التخلص من قبضته ثم أسرع إلى النافذة
وصرخت :

- كلاى .. إنقذنى يا كلاى .. النجدة ..

ولكن مايكل لحق بها وقبض على عنقها بقوة ثم ارغمها على
النهوض حتى بلغت قاعدة النافذة ..

سمع صوت سقوط جسم معدنى على أرض الحديقة ولكنه لم
يحفل بشيء ..

أخذ يشدد الضغط على عنقها بينما كانت مقاومتها تضعف رويداً
رويداً ، وانساب العرق غزيراً من جبهته يغطى عيناه ..
أخذ يضغط على عنقها بقوة بينما ارتفع جسدها حتى بلغ حافة
النافذة ..

وفجأة انفلتت من بين يديه وهوت إلى أسفل ..

سمع صرخة مكتومة ..

عندما نظر إليها كانت بقعة داكنة فوق حجارة الفناء ..

★ ★ ★

الفصل الثالث عشر

بعد أن انتهى مايكل راح يتطلع إلى الغرفة وهو ذاهل الحواس ..
كان كل شئ فيها قد انقلب وأصبحت .. فى حالة رهيبية من
الفوضى .. ولم تعد حجرة إيمان .. لقد انقلب الأثاث وتمزقت الستائر
وتبعثر الفراش وامتلات الأرض بالكتب والأوراق المبعثرة وحطام
المصباح ..

قرر أن يهرب منها بسرعة ..
التقط معطف كات الذى كان ملقى بجوار النافذة ثم إتجه إلى
الباب .

عندما حاول فتحه وجدها مغلقاً بالمفتاح ..
تذكر على الفور أنه هو الذى أغلقه .. أخذ يبحث عنه فى كل مكان
دون جدوى أين ذهب ؟ ..
أخذ يعصر ذهنه لى يتذكر .. وأخيراً تذكر أنها هى التى أخذته ..
نظر إلى جثتها الملقاه أسفل النافذة ..
لقد ذهبت كات هوارد ولن يراها بعد ذلك ..

وتذكر أنه سمع رنين المفتاح على الأرض قبل أن يلقى بها من

النافذة وأدرك ان المفتاح يرقد الآن بجوار جثتها ..
قرر أن يبحث عن وسيلة أخرى يفتح الباب ..
تناول محرك النار الحديدي وراح يضرب به القفل بقوة ولكن
القفل كان قوياً لم يتحرك ..
لابد أن ينصرف الآن من الغرفة ..
أخذ يضرب الباب بكتفه بقوة حتى يحطمه ..
فشلت المحاولات الأولى فراح يستجمع كل قوته حتى يخرج من
الغرفة ..
وأخيراً تحطم الباب فجأة وسقط مايكل على أرض الردهة ..
توقف لحظة لالتقاط أنفاسه وهو يرهف السمع ويحمل معه معطف
كات .. وجد السكون التام يخيم على المنزل ..
أخذ يتحسس طريقه فى الظلام بحذر حتى بلغ النافذة التى دخل
منها فتسلقها وخرج إلى الحديقة ..
أخذ يسير حول المنزل لهدف لا يعرفه ..
حتى بلغ الجزء الخلفى من المنزل وهو الذى تطل عليه نافذة غرفة
أيمّا كان يسير فوق العشب حتى لا يسمع أحد صوت أقدامه على
الحجارة ، فوجد جثة كات حيث ألقاها ..
وعلى الفور لفها فى المعطف وحملها متجهاً إلى سيارته ..

وجدها خفيفة الوزن فأسرع إلى السيارة قبل أن يعود ..كلای ،
وبينما هو يدور حول المنعطف تجمد فى مكانه ..

لقد سمع وقع أقدام تقترب مصحوبة بصوت رجل يغنى ..
وعلى الفور اختفى خلف شجرة ضخمة وفى نفس اللحظة ظهر
كلای وهو يتجه بسرعة نحو البيت ..

أخذ مايكل يراقبه حتى دخل ثم أغلق الباب خلفه فأسرع يعدو
بسرعة حتى وصل إلى السيارة فوضع جثة كات فوق المقعد الخلفى
واندفع بالسيارة بأقصى سرعة ولآخر مرة ألقى نظرة على منزل إيمما
الحبيبية ..كانت نوافذه الأمامية مغلقة بحيث يظن الناظر إليه أن أهله
نائمون ..

وفى نفس اللحظة فتح الباب الرئيسى بعنف واندفع كلای خارجاً
فرأى أضواء السيارة وهى تندفع من خلال البوابة وتختفى عند
المنعطف ..

علت الدهشة وجهه ..

أسرع إلى المنزل حيث اتصل بمركز البوليس ..

★ ★ ★

لم تكن لدى مايكل جويس أية فكرة عن المكان الذى سيذهب إليه
.. أخذ يقود السيارة خلال الطرق الريفية بدون هدف ..

كان جسده منهكاً للغاية بعد هذا المجهود العنيف كما كانت أعصابه
محطمة وشعر برغبة قوية فى النوم.. ورغم كل ذلك فقد كان سعيداً
بعد أن حقق الانتصار على هذه الشيطانة وانتقم لحبيبته إيماناً.. أخيراً
أخذت العدالة مجراها ..

لقد نفذ حكم العدالة بيديه كما كان يفعل الإنسان الأول ..
وتذكر شيئاً مزعجاً ..

لقد قال للطلبة أن منفذ الجريمة أحسن التخطيط ولم يترك ثغرة
واحدة..

وتذكر بعض الثغرات التى تركها .. أنكرت كات فى اللحظة الأخيرة
أنها أساءت إلى إيماناً كما أنها قاومتها ولم تستسلم بسهولة كما ذكر
للطلبة ..

حانت منه التفاتة إلى المقعد الخلفى فاقشعر جسده .. وتذكر موقفه
الرهييب .. إنه هو مايكل جويس الطبيب الشهير فى هارلى ستريت
يخترق الطرق الريفية خلال الليل ومعه جثة امرأة قتيلة !!
أفاق لنفسه وقرر أن يتخلص من الجثة بسرعة ويلقيها فى أى
مكان ..

ولأول مرة يلاحظ أن الضباب بدأ يتكاثر شكل رهيب ويخفى عنه
معالم الطريق .. أصبح كل شئ مظلماً ولم تعد أنوار السيارة
تستطيع اختراق الظلام الكثيف ..

.. كان الضباب قد تكاثف على الزجاج الأمامى فأوقف السيارة وتناول قطعة من القماش أخذ يمسح بها الزجاج ، وفى هذه اللحظة قرر الخلاص من الجثة ..

ما كاد يمد يده اليها حتى سمع دويًا رهيبًا تبعه صوت فرامل حادة ..

ترك حمله بالسيارة وأغلق الباب بعنف ثم اتجه إلى الخلف .. فرأى على ضوء الفوانيس القوية سيارة نقل ضخمة تقف خلف سيارته حيث هبط منها جندي أمريكي ضخم الجثة وقال له بحنق :

- كيف تقف بسيارتك هكذا فى وسط الطريق ؟.

وقف مايكل أمام المقعد الخلفي ليحجب الجثة عن أنظار الجندي ثم قال متلعثمًا :

- كنت أنظف زجاج السيارة .. إن الرؤية أصبحت صعبة للغاية ..

فربت الجندي على كتف مايكل وهو يراه متوترًا ثم قال :

- هل تعرف أين نحن ؟.

كان مايكل قد رأى لافتة الطريق قبل أن يتكاثف الضباب فأخبر الجندي أنه فى طريق بورتسماوث فقال الأمريكى :

- اذن فأنا أسير فى الطريق الصحيح ..

- يمكننى أن أصف لك الطريق إلى هناك ..

- أشكرك .. سوف أسير خلفك ..

شعر مايكل بالرهبة وقال :

- ولكننى .. ولكننى سوف أنحرف عن الطريق الرئيسى بعد قليل .

- حسناً .. سوف أتبعك حتى تشير إلى بيدك ..

وجد مايكل نفسه مرغماً على السير أمام الجندي وهو يتمنى أن يرى أى منعطف فى الطريق .. وخلال .. حوالى سيلين لم يجد أى منعطف حتى كاد يفقد الأمل .. ولكنه رأى ثغرة صغيرة وأدرك أنها تؤدي إلى طريق فرعى فأشار بيده للأمريكى أن يواصل السير مباشرة وقال له :

- عليك أن تسير فى طريق مستقيم حتى تصل إلى بورتسماوث ..

- شكراً يا جورج .. إلى اللقاء ..

★ ★ ★

وجد مايكل الطريق طيقاً للغاية فمضى فيه بحذر شديد ..

قرر أن يخرج الجثة ويتركها فى أى مكان بالطريق ثم يبتعد عنها ولن يراه أحد بفضل الضباب الكثيف ..

وفى نفس اللحظة التى قرر أن يتوقف فيها وجد شبحاً يقف أمامه فى عرض الطريق يشير له بالوقوف .. فاضطر للوقوف حتى لا يصطدم به .

اقترب منه رجل عجوز وقال بلهجة مهذبة :

- أرجو أن تساعدنى .. لقد وقعت سيارتى فى حفرة ..

شعر مايكل بالرعب .. فالجثة فى المقعد الخلفى وهى غير مغطاه
بالمعطف وخشى أن يراها الرجل ..

قال فى اقتضاب :

- إننى أسف للغاية ياسيدى ..إننى فى عجلة من أمرى ولن
أستطيع مساعدتك ..

- حسناً .. يمكنك أن تتفضل بتوصيلى إلى منزلى ..إنه لايبعد عن
هنا أكثر من نصف ميل ..

قال مايكل :

- أسف ياسيدى ..فهناك مريض فى حالة خطرة وعلى أن أذهب
إليه بسرعة لم يتزحزح الرجل عن موضعه وقال :
- هل أنت طبيب ؟..

- نعم .. أرجو أن أصل فى الوقت المناسب ..

قال العجوز وهو يبتسم :

- إنها فرصة طيبة .. أنا أيضاً طبيب .. اسمى الدكتور فاريل
وعيادتى قريبة من هنا فإلى أين ستذهب ؟..

لم يتوقع مايكل هذا السؤال إلى أين يذهب ؟! وأخيراً تمت قائلأ :

- إلى نهاية الطريق ..
- حسناً .. سوف أترك سيارتي وأذهب معك لأقرب تليفون ..
- توترت أعصاب مايكل وهو يرى الرجل يدور خلف السيارة حتى
يجلس فى المقعد المجاور له ..
- .. ماذا يفعل ليخفى الجثة ؟ فسوف يراها بالتأكيد بمجرد أن يضع
قدمه فى السيارة .. نظرة واحدة فقط تكفى ..
- وفى نفس اللحظة قال الدكتور فاريل :
- لحظة واحدة سوف أحضر حقيبتى من السيارة ..
- وعلى الفور وضع مايكل الجثة بعناية وغطاها بالمعطف ليخفيها
تماماً .
- عاد الدكتور فاريل وهويحمل حقيبته فدخل السيارة وجلس بجوار
مايكل الذى انطلق بالسيارة ثم قال :
- إلى أين تريد الذهاب ؟
- إلى أقصى مدى يمكنك أن تذهب أنت إليه ..
- لم يكن مايكل يعرف أين هو ولا كيف يجيب الرجل .. حاول أن
يتذكر اسم أى مكان قريب دون جدوى ..
- قال أخيراً :
- اننى لست متأكداً تماماً من المكان .. هل هو قريب أم بعيد ..

‘ قال الدكتور فاريل بثقة :

- لاداعى للقلق .. اننى أعرف هذه المنطقة جيداً ويمكننى أن
أساعدك ..

قال مايكل باقتضاب :

- شكراً لك .. ان المكان بعيد ..

تمنى مايكل أن يكف الرجل عن أسئلته حتى يفكر بطريقة سليمة
ولكن الرجل عاد يقول :

- هل أنت من لندن ؟ ..

- نعم ..

فسأله الرجل عن كسور الجمجمة ووجدها مايكل فرصة طيبة
ليتحدث عن مهنته التى يجيدها فذكر له الرجل أن طفلة صغيرة
أصيبت فى حادث سيارة على الطريق فسأله مايكل عدة أسئلة أدرك
من إجاباتها أن الطفلة فى خطر شديد ..

وبعد قليل هتف الدكتور فاريل :

- هاهو الطريق الذى يوصلنى إليها .. سوف أحضر وفاتها ..

قال مايكل :

- قد تنجو بمعجزة .. لقد رأيت حالات أخطر من ذلك ونجا
المصابون منها ..

قال الدكتور فاريل ببرود :

- هذه حوادث خارقة ولكننى لا أتوقع حدوثها ، ولا يهمنى أن تحدث أم لا ..

قال مايكل بحماس :

- أما أنا فأتمنى أن تحدث هذه المعجزة لأننى لا أحب أن يموت أحد مرضاى ..

قال العجوز ساخراً :

- إنك مازلت شاباً صغيراً ، وعندما تقتل من المرضى كما قتلت فسوف تقتل حماسك .. ثم قهقه ضاحكاً ..

- ولكننى أشعر بالسعادة البالغة عندما أنقذهم ..

- لاشك انك تفعل ذلك بدافع الأنانية والخيلاء .. إن الإنسان ليست لديه مشاعر طيبة كلا .. إنه يتخيل ذلك فقط ..

- إننى لا أقر هذه النظرة إلى الحياة ياسيدى .. إن هذا يجعل الأمور شديدة التعقيد ..

- لا عليك .. ها قد وصلنا إلى المنزل .. سوف يكون الأمر شاقاً للغاية خاصة بالنسبة لوالدة الطفلة ..

فسأله مايكل :

.. كم عمرها ؟

فى الثانية عشر تقريبا ..

وبدون وعى غمغم مايكل قائلاً :

- فى عمر أن ..

فقال له الدكتور فاريل :

- هل هى ابنتك ؟

- كلا ..

وبعد أن وقفت السيارة قال له الدكتور فاريل :

- هل يمكن أن تأتى معى لنفحصها سوياً ؟ لاشك أن هذا سيجعل أهلها مقتنعين بما تقول ..

شعر مايكل بالحنق على هذا الرجل المتشائم الذى لا يكثرث بحياة المرضى كما شعر بالشفقة نحو الطفلة فقال له :

- قد يكون هناك أمل فى الشفاء .. هل هى على قيد الحياة ؟

- نعم ..

- هيا بنا ..

وتبعه إلى منزل الطفلة المصابة ..

★ ★ ★

الفصل الرابع عشر

كان المنزل بأحد أكواخ العمال ..

اتجه الدكتور فاريل إلى إحداها ومايكل يتبعه وفي الطريق رأى أحد رجال الشرطة فانتابه الخوف وخطر بباله أن يفر عائداً إلى سيارته .. ولكن الشرطي لم ينظر إليه واتجه إلى الدكتور فاريل وعبر عن أسفه لهذا الحادث ..

وفي هذه اللحظة فتح باب البيت وظهرت امرأة عجوز قالت للدكتور فاريل بلهفة :

- أخيراً عدت يا دكتور .. كنا نخشى ألا تعود مرة أخرى .

ثم قادتهما إلى غرفة رطبة مظلمة ليس بها إلا بعض المقاعد وأريكة بالية ..

قال لها الدكتور فاريل :

- لقد أحضرت معي أحد الزملاء المتخصصين .. إنه زميلي الدكتور ..

ثم صمت حتى يذكر الرجل اسمه ولكن مايكل تجاهله وقال بخشونة :

- أين المريضة ؟

دخلت سيدة فى منتصف العمر وقالت بجزع :

- هل رأيت يا دكتور فاريل .. إنها ترقد بغير حراك .. لقد نقلناها إلى هنا ..

كان من الواضح أنها والدة الطفلة وأشارت إلى الطفلة التى أرقدها على مائدة صغيرة فمضى إليها مايكل وأخذ يفحصها بعناية .. وجد أن تنفسها ضعيف للغاية وغير منتظم .. كانت فى حالة سيئة.. فحص موضع الجرح العميق كما اختبر انعكاسات رد الفعل العصبى وقال أخيراً للدكتور فاريل :

- إنها مصابة بتلف فى الشريان الأوسط ..

لم تفهم الأم معنى هذه الكلمات ولكنها كانت تشعر بالثقة فى هذا الطبيب البارع الذى فحص طفلتها بثقة .. قالت ضارعة :

- سيدي .. هل ستعيش طفلى ؟

ربت مايكل على كتفها برقة ثم قال لفاريل :

- سوف أجرى لها جراحة الآن ..

وطلب وعاء نظيفاً ليعقم أدواته وبعض الأغذية النظيفة بينما نظر إليه فاريل بدهشة كأنه يرى أمامه رجلاً مجنوناً ..

أسرع مايكل عائداً إلى سيارته ليحضر الحقيبة التى تحتوى على

آلاته الجراحية وعاد إلى الطفلة التي استحوذت على كل تفكيره فنسى
الجثة التي يحملها في سيارته تماماً ..
قال له الدكتور فاريل هامساً :

- لا داعي للمخاطرة .. لأنها إذا ماتت خلال الجراحة فسوف
يجرى تحقيق ويصبح مركزك سيئاً للغاية ..
قال مايكل بثقة :

- لا سبيل أمامنا إلا إجراء الجراحة الآن ، لاننا لو تركناها
فستموت خلال نصف ساعة على الأكثر ، وهى فترة لا تكفى لنقلها
إلى المستشفى ..

- ان هذا يستلزم وجود طبيب متخصص وأنا لا أعلم كثير عن
الجراحة ولذلك لن أشاركك العمل ..

أدرك مايكل أن الرجل يود أن يبعد أى شبهة عن نفسه فقال له :

- اننى أتحمل المسؤولية وحدى وسوف تكون الطفلة على ما
يرام ..

أغلق مايكل باب الغرفة خلفه بينما جلست الأم والجدة ومعهم
الشرطى بالخارج وهم فى حالة سيئة للغاية .

أعد مايكل كل شئ بعناية وجهاز معداته وأدواته وشمر عن
ساعديه ثم ارتدى قفازا مطاطيا ووضع على وجهه قناعا أبيض
معقم ..

رقدت الطفلة بلا حراك وهى مغطاه بغطاء أبيض لا يظهر منه سوى رأسها .. وبدأ مايكل الجراحة المعقدة ..

رأى فاريل مقدار براعة رفيقة ودقته البالغة فى التعامل مع الشرايين والأعصاب ..

وكلما مر الوقت ازداد فاريل تقديراً واحتراماً لهذا الطبيب الشاب الذى يصغره بأكثر من ثلاثين عاماً ولكنه يفوقه خبرة ومهارة وشجاعة وإخلاصاً ، فراح يعاونه فى نقل الأوعية ويناوله الأدوات بصدر رحب ..

وتعجب من أمره ..

لقد ألتقطه على الطريق خلال الضباب وعندما تحادثا سوياً بدا متحمساً للغاية وها هو يؤيد صدقه وبراعته وأن حديثه لم يكن كلاماً فى الهواء ..

تمنى أن ينجح زميله فى الجراحة حتى لا يتعرض لأى موقف محرج خلال التحقيق أما هو فلن يتعرض له أحد ..

أخذ مايكل يسابق الزمن ويبذل قصارى جهده حتى يدفع شبح الموت عن الطفلة .. لقد طالت الجراحة وأصبح يخشى على الطفلة من الوفاة وهى مازالت تحت تأثير المخدر ..

وجد أن الطفلة تكاد تتوقف عن التنفس وانزعج ..

لابد أن يعطيها منشط للقلب فوراً ..

قال لرفيقه :

- أريد أى منشط للقلب فوراً .. هل معك شيء من الكورامين ؟

قال فاريل :

- اننى لا أحمله أبداً ..

نظر مايكل إلى الطفلة بجزع ثم قال :

- معى بعض منه فى السيارة .. ستجده بالدرج الأمامى ..

قال فاريل بسرعة :

- سوف أحضره لك حالاً ..

وما كاد يغلق باب الغرفة خلفه حتى تجمد مايكل ..

لقد نسى كل شيء عن الجثة وقد أرسل فاريل إلى السيارة حتى
يكتشفها .. ياله من غبى أحمق ..

ارتعد جسده وثلت حركته ولكن أشعة الضوء سقطت على رأس
الطفلة وعلى الفور نسى كل شيء عدا واجبه ..

نعم .. لا بد ان ينتهى أولاً من إنقاذ الطفلة ثم يفكر بعد ذلك فى أمر
كات ..

ولكن .. لماذا تأخر فاريل هكذا ؟

خيل إليه أن ساعات طوال انقضت على ذهاب فاريل .. شعر بأن
العرق العزيز يغمر كل جسده ووجهه ..

‘ أما الطفلة فقد كادت تتوقف عن التنفس تماماً ..
تري هل رأى جثة كات بالسيارة ؟
لا يهم .. المهم الآن أن يعود بأنابيب الكورامين ..
وأخيراً عاد فاريل وهو يحمل معه الكورامين ودخل بسرعة إلى
الغرفة ..
كان وجهه شديد الامتقاع ولح مايكل فى عينيه نظرة فزع
رهيبة ..
نظر إليه بثبات ..
قال فاريل :
– لم تكن فى الدرج الأمامى ولكننى تمكنت من العثور عليها ..
وأدرك مايكل أنه عرف كل شيء فهذا تماماً وكأنه حملاً ثقيلاً قد
انزاح عن صدره ..
قدم الحقنة إلى فاريل وقال :
هيا .. اسرع ..
بعد لحظات بدأت الطفلة تتنفس بانتظام ..
وأخيراً أقفل لها مايكل الجروح بعناية بالغة ثم طلب من فاريل أن
يناوله الضمادات وراح يربط الرأس ببراعة ، وكان فاريل يراقب يديه
الثابتتين بدهشة ..

ثم وضعها فى الموضع المناسب وكشف الأغطية إلى الخلف قليلاً
وكانت الطفلة تتنفس بانتظام .. إى أنها مازالت على قيد الحياة ..

خلع الرجلان أقنعتهمما ونزعا القفازات ثم قاما بتنظيف الأدوات
والأجهزة وبعد ذلك اغتسلا وهما يشعران بالراحة البالغة ..

انتهت المهمة العارضة وعاد إلى مايكل القلق والرعب من الحقيقة
الرهيبية الكامنة بداخل السيارة .. نظر إلى فاريل حتى يبدأ الحديث ..

قال العجوز بصوت يحمل كل معانى التقدير والاعجاب :

- يالك من طبيب بارع .. لقد أديت عملاً رائعاً ..

قال مايكل بتواضع :

- أشكرك .. أتمنى أن تصبح الطفلة على ما يرام ..

- يبدو أنك متخصص فى هذه الجراحات الصعبة ..

- نعم .. وأعتقد أن الطفلة ستعيش إذا مرت هذه الفترة الحرجة ..

قال الطبيب ساخراً :

- ولكن لا تظن أنك تستطيع التحكم فى مصائر الناس بمثل هذا

العمل ..

قال مايكل بدهشة :

- وهل تشعر بذلك عندما قذ أحد المرضى من الموت المحقق ؟

- كلا بالطبع ، ولكننى أتحدث عنك أنت .. ان شفاء الطفلة من

مصلحتى بالطبع ولكن لا يهمنى كثيراً أن تعيش أو تموت !!
كان فاريل يفكر فى أمر هذا الطبيب النابغة وهو مندهش للغاية ..
إن علامات الذكاء والعبقرية واضحة عليه تماماً ، ومن المؤكد أنه لم
يساعده ليحصل على أى مكسب مادي .. كلا ..
ولكن لماذا يتوقف ويعرض عليه إنقاذ الطفلة رغم أن ذلك يعرضه
لاكتشاف الجثة فى سيارته ؟ ترى ما هو الدافع لذلك ؟
هل يكفر عن ذنبه ويحاول إنقاذ طفلة بريئة بعد أن قتل هذه
المرأة ؟
أم هى العادة المتأصلة فيه كطبيب لا يستطيع أن يصم أذنيه عن
نداء الواجب ؟
أم أنه جنون العظمة ؟!
يبدو أن الأمر كذلك .. فالمصابون بهذا الداء يعتقدون أنهم فوق
مستوى البشر ويتحكمون فى مصائر البشر بالخير والشر أيضاً ..
إذا كان الأمر كذلك فإنه شخص شديد الخطورة ..
قال مايكل :
- لا أعتقد أن الكثير من الأطباء يفكرون كما تفكر ..
قال فاريل :
- أنت فقط الذى يفكر بهذه الطريقة .. اننى أتحدث عن الأشخاص
الطبيين وليس الشواذ ..

تجمدت ملامح مايكل بينما استطرد فاريل قائلاً :

- إن هؤلاء الأشخاص الطبيعيين يفكرون بعقول سليمة يعرف الجميع محتوياتها ، أما أمثالك ففقولهم ليست متينة ومن السهل أن تتحطم ، وخير للمجتمع أن يتخلص من هؤلاء الشواذ الذين يهددون حياة البشر ..

شعر مايكل بالاضطراب أمام الهجوم الكاسح لفاريل العجوز الذى بدا كما لو كان يصدر عليه الحكم بالإعدام .. فقال :

- أن كل ما تقوله غير صحيح .. فعندما يعالج الطبيب مريضه حتى يصل به إلى الشفاء الكامل أو إلى الموت فإنه يفعل ذلك بحياد تام ولا يفكر لحظة هل يستحق المريض الحياة أم لا ..

أما ما فعلته اليوم فقد كان تنفيذاً للعدالة .. نعم لقد لعبت دور القاضى العادل وأصدرت حكماً عادلاً ..

قال الطبيب بلا اكتراث :

- إنك مصاب بجنون العظمة .. لا شك فى ذلك ..

وفى هذه اللحظة سمع مايكل صوتاً بالخارج يقول :

- من هو صاحب السيارة التى تقف بالخارج ؟

وتصلب جسده بينما فتح فاريل الباب بحذر ورأى شرطياً يتحدث إلى أهل الطفلة المصابة ..

‘ عندما عاد الطبيب وجد الباب الخلفى للحجرة يفتح ولم يجد
الطبيب العبقري ..

شعر فى قراره نفسه بالإعجاب لهذا الطبيب النابغة وحزن لنهايته
التعسة .. غادر الحجرة وعلى وجهه ابتسامة الرضا ..

اندفعت الأم نحوه وقالت بلهفة :

- كيف حالها يا دكتور ؟ هل هى بخير ؟

- نعم .. لقد تعدت مرحلة الخطر ..

- ان زميلك هذا كان عظيماً .. من هو .. اننى لم أريه من قبل ..

- ولا أنا ..

- ما اسمه وأين يقيم ؟

- لا أعرف ..

وجاء الشرطى إلى فاريل وسأله قائلاً :

- هل أنت صاحب السيارة التى تقف أمام المنزل ؟

- كلا ..

- هل تعرف صاحبها ؟

- كلا .. لماذا ؟

- لقد كدت اصطدم بها لأنه أوقفها فى الطريق ولم يضىء

مصاييحها الخلفية ..

شعر فاريل بالارتياح وقال :

— هل الأمر كذلك ؟!

★ ★ ★

عاد مايكل إلى سيارته وانطلق بها عبر الطرق المظلمة .. لم يفكر
فى الفرار فقد نسى كل شىء عن الجريمة ..

إن المجرم الذى يرتكب جريمة القتل مرة لا يهتم بما يحدث بعد
ذلك ..

أخذ مايكل يحلل سلوكه خلال الليلة الأخيرة وكأنه شخص
محايد ..

لقد ارتكب الجريمة بعد تخطيط دقيق وقتل كات بكل هدوء ورباطة
جأش .. ولكن القتل لا يرتكبه إلا المجانين الشواذ ..

ولكن هل يمكن أن يكون مجنوناً ؟

لقد أجرى للطفلة جراحة خطيرة .. فهل يفعل المجانين ذلك ؟

ثم تذكر كلمات الطالب فى المحاضرة وسؤاله عن القاتل .. هل كان
فى مستشفى المجانين .. وقول كات له وهى تحتضر .. انك مجنون
خطر ..

وكلمات الدكتور فاريل .. من الخير للمجتمع ان يتخلص من

هؤلاء الشواذ الذين يهددون حياة البشر ﴿ ..
أخذت الكلمات تدوى فى أذنيه وتختلط مع هدير محرك السيارة ..
مجنون .. مجنون ..
الجميع يصرخون فى وجهه بهذه الكلمة .. كات .. الدكتور فاريل
.. الطلبة فى قاعة المحاضرات ..
لا شك انهم على حق ..
وبدا يشعر بالراحة أخيراً
توقفت بالسيارة فى بقعة هادئة فوق الصخور العالية التى تعلو
الماء .. لقد انقشع الضباب عن هذه المنطقة بسبب البحر الذى تألقت
أمواجه تحت أشعة القمر ..
أخذ يراقب الأمواج وهو يشعر بنداء خفى إليها فرحب بالدعوة ..
تصلب جسده لحظة ثم وجد نفسه يعانق الهواء البارد قبل أن
يرتطم جسده بالماء ..
وبعد لحظات غمر الماء رأسه ..
وانتهى كل شئ ..

★ ★ ★

(تمت)



- | | | |
|---------------------|------------------------|-----------------------|
| * دائرة الخطر | * الرسائل السوداء | * القضية المستحيلة |
| * الغرفة السرية | * عدالة السماء | * النظرات القاتلة |
| * الشبح القاتل | * المتهم الصامت | * رحلة إلى المجهول |
| * رجل يتحدى بوارو | * الذنب | * الحب الذي قتل |
| * سر المرأة المقنعة | * شرخ في المرأة | * جزيرة المهربين |
| * الجريمة المعقدة | * زملاء الشر | * المؤامرة الكبرى |
| * الرصاصة الأخيرة | * المغامر | * الأفعى |
| * الشاهدة الوحيدة | * لغز الهاربين | * جريمة ممثلة |
| * الماسة العجيبة | * المطاردة القاتلة | * أبواب القدر |
| * بيت الأسرار | * لغز اختفاء المليونير | * المنهضة البرينة |
| * شبح من الماضي | * الضحية الثالثة | * مغامرات بوارو |
| * الساحرات الثلاثة | * الصوت الغامض | * التضحية الكبرى |
| * الوثيقة السرية | * القناع الزائف | * جريمة فوق السحاب |
| * الجريمة المزدوجة | * الحلم الرهيب | * جريمة في العراق |
| * سر زائر الليل | * رجل بلا قلب | * الساحرة |
| * الخطة الجهنمية | * صرخة في الليل | * اللغز المثير |
| * ساعة الصفر | * خيوط العنكبوت | * سر التوأمين |
| * جريمة في قطار | * تحدى العظماء الأربعة | * اختطاف رئيس الوزراء |
| * جزيرة الموت | * جريمة في البحر | * العميل السري |
| * المصيدة | * المرأة الغامضة | * سر الجريمة |
| * جريمة القصر | * لغز الألفاز | * القضية الكبرى |
| * اغتيال اللوز | * الرجل الخفي | * الجريمة الكاملة |
| * الزائر الغامض | * وجهها لوجه | * قتل في المترو |
| * الخدعة الكاذبة | * جريمة الكوخ | * ذكريات |
| * إعلان عن ج | * كأس السم | * أدلة الجريمة |
| * الانتقام الر | * الرعب القاتل | * القاتل الغامض |

Bibliotheca Alexandrina



0410863



المملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١٨٢٠٧ الرياض

١٥٢٨



مكتبة معروف
الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨١٠٨٢٩
القاهرة : ٤٤١٠٩٤١٤ / ٤٤١٠٩٤٢٩